خطابات حسن البنّا الشاب إلى أبيه



جمال البنّا

خطابات حسن البنَّا

الشاب إلى أبيه

مع ترجمة مسهبة وموثقة لحياة الوالد

الشيخ أحمد البنَّا

جمعها وعقب عليها وكتب الترجمة:

جمال البنَّا

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

فهرس

الأحكام والآراء والتقريرات في ترجمة الشيخ الوالد أو التعليق على خطابات الإمام الشهيد ـ رحمهما الله ـ مما جاء في هذا الكتاب ـ هي آراء شخصية اجتهادية يتحمل المؤلف مسئوليتها. فقد ربطت معزة خاصة ما بينه وبين الوالد والشقيق، ربما لأنه "آخر العنقود" للوالد والأخ الأصغر للشقيق، ولكن هذه الميزة نفسها جعلته لا يعايش الأحداث السابقة عليه، كما يمكن القول أن أي واحد من الأخوان المسلمين المقربين قد يعرف عن الإمام الشهيد أكثر مما يعرفه أشقاؤه، وهو ما يصدق على المؤلفات بالذات أكثر من غيره.

وقد تصدى المؤلف لمهمة إصدار هذا الكتاب لأنه كان هو الذي اؤتمن على أوراق الشيخ ومكتبته، ولأن صناعته هي الكتابة، وقد آنس من نفسه القدرة على الترجمة وعلى استخلاص الأحكام. وقبل هذه كلها.. لأداء واجب نحو الوالد والشقيق لم يكن ليستطيع منه تحللاً.

المؤلف

مقدمة

بسم ا الرحمن الرحيم

والحمد والصلاة والسلام

على رسول ا

- - - - - - - - -

ثمة أسباب عديدة دعتني لإصدار هذا الكتاب..

- منها أن هذه الخطابات تكشف عن جانب مجهول في حياة الإمام الشهيد حسن البنّا رحمه ا ، لم يطرق من قبل عندما كان في مستهل الشباب، والنفس تموج بالعواطف، وتجيش بالتطلعات نحو المستقبل.
- وتكشف هذه الخطابات أن الإمام الشهيد رحمه ا رضي عما ارتضاه ا له، وعاش في سلام بين عمل يحبه، وحب يعمل له، هذا الحب الذي جعله يتألق ككل موفق في حبه هو " الدعوة " التي غرست بذرتها في طفولته، وظلت تنمو بين جنبيه، وتتكامل ـ كما يتكامل في بطن أمه جنين جاء من حب

جارف. ومن هنا اتسمت الخطابات بثقة، وأمل، واستبشار وحمدا على توفيقه.

- ومن هذه الأسباب أن هذه الخطابات التي لم يتصور مرسِلُها بالطبع أنها ستنشر يوما، تكشف عن طبيعة سوية، صريحة تخلو من أية إثارة لتحايل أو تكلف، كما أنها تكشف عن برٍ عميقٍ بالوالدين، ما أجدر الشباب اليوم أن يتعلمه. فالإمام البنا رحمه ا كان يقتسم مرتبه ما بينه وبين والده، وكان يرى أن هذا هو الواجب الطبيعي، وكان يضيق لأن الضرورات لم تسمح له بالمزيد، وأبرز من هذا البر، الأدب الرفيع في الخطاب، فهو يخاطب الوالد ـ دائما وأبدا ـ "سيدي الوالد" أو "سيدي الوالد الجليل "والوالدة" سيدتي الوالدة " وكان هذا دأبه في مستهل شبابه أيام الإسماعيلية حتى أيامه الأخيرة، كما يتضح ذلك من آخر خطاباته التي أوردناها، ولم يتعلم الإمام البنّا رحمه ا "الإيتكيت" في مدرسة فرنسية أو يطلع عليه في الآداب العالمية والأوروبية، ولكنه تأدب بأدب من أدبه ا تعالى فأحسن تأديبه: الرسول(ﷺ)

فعرف حق الأب، وحق الأم وأدب الخطاب، وأن كل ما يمكن أن يقدمه من تضحية، وما يلتزم به من أدب قليل في حق الوالدين.

- وإذا كان ثمة إضافة، فهي أن هذا الأدب نحو الوالدين كان جزءا من الأدب العام الذي اتصف به الإمام الشهيد، فقد كان رحمه ا مهذبا غاية التهذيب، يرحب بكل من يأتيه، ويصغي إليه ويحتفل به، ويقوم له، ويخاطبه بأحب الألقاب، ويسأل عن حاله وأبنائه وأسرته. ويرد على كل خطاب يصله، وكان يحتفي بأقل الأخوان شأنًا من فلاحين أو عمال أو طلبة في مقتبل العمر، ومن قد تزدريهم الأعين لفجاجة منظرهم أو رثاثة ثيابهم، بل كان يلمس فيهم ـ أكثر من غيرهم ـ دفء العاطفة وصدق العلاقة وخلوص النية، وكان يستشعر هذا بقلبه، كما يتعلمه من تأديب القرآن الكريم للدعاة نحو الجماهير والعامة والمستضعفين.
- وتكشف هذه الخطابات عن جانب تربوي في الإمام البنا رحمه ا ، وكيف عني بتعليم وتربية أشقائه

الذين استقدمهم إلى الإسماعيلية ليطلبوا العلم في المدرسة التي كان هو مدرسا بها وبوجه خاص الشقيق عبد الباسط رحمه ا ، وكاتب هذه السطور، وكيف كان يشرف على تحفيظهما قصار السور والأحاديث.

- ومقارنة الخطابات التي أرسلها الإمام الشهيد في الأيام الأولى للإسماعيلية، بل وقبلها (٢٦ ـ ٢٧) بآخر خطاباته المرسلة لوالده (سنة ١٩٤٧) ودراسة خطه، توضح وحدة الخط والأسلوب والصياغة. ويكاد المتأمل فيها أن يقطع بأن كاتبها لم يتوقف، ولم يتردد ولم يضطر إلى شطب أو تعديل. ويلحظ أن السطور تتوالى مموجةً على الصفحة والحروف مجدولة في الكلمات كضفيرة ذهبية مسترسلة أو كموجات متلاحقة على سطح نهر هادئ، مما يعطي القارئ إحساسا بأن السطور تنبض بالحياة، وأنها بلورة لشخصية صاحبها، أو بصمته الخطية، وانتظام سطورها ينم عن شخصية منتظمة سوية، مستقرة تتجاوب الإرادة فيها مع الذهن. وهذه

اللفتة تكشف عن ظاهرة هامة في حياة وعمل الإمام الشهيد رحمه ا هي "الاستمرارية" فالإمام البنا هدى من شبابه إلى رسالته، بل هو أعد لها من طفولته، بحيث أنه عندما بدأ العمل بالفعل سنة ١٩٢٨، كان يواصل بداية أعد لها سلفًا، وتابعها دون أن يضطر إلى انحراف أو تقطع أو مخالفة، فالخط متصل حتى عام ١٩٤٩ عندما لقي ا . وهذه إحدى النعم التي أنعم ا بها على الإمام الشهيد. وإحدى علامات توفيقه ورضاه، إذْ بدأ في سن مبكرة قلما تتضح فيها الخطوط النهائية لدعوة الدعاة. ولم يضطر ـ كما اضطر إلى ذلك كثير من الدعاة ـ إلى تعديل أو تغيير. وإذا كانت دعوة الأخوان المسلمين قد تطورت من الصورة التربوية الصوفية التي كانت عليها أيام الإسماعيلية إلى الصورة السياسية الحياتية، فإن هذا التطور تم في الأطر الإسلامية، وكان هذا التطور دليلاً على قوة وحدة الاتجاه لأنه لم يمس " الثوابت" والخطوط الأساسية فيه. وتثبت إحدى الأوراق التي عثرنا عليها. وأثبتناها في هذا الكتاب،

أن الأخوان قد هدوا إلى اسم "هيئة الأخوان المسلمين" من الثلاثينيات عندما كانت نبتة صغيرة.

- وتكشف هذه الخطابات عن بعض جوانب المجتمع المصري في الثلاثينيات تجهلها، بل لعلها لا تتصورها ـ أغلبية الشباب اليوم، ولا يعدم القارئ بعض اللفتات عن تطور الأخوان.

* * *

وهناك بعد، سبب آخر هام كان من أقوى أسباب إصدار هذا الكتاب، هو تعريف الجمهور الإسلامي بوالد الإمام الشهيد سيدنا ووالدنا الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا رحمه ا ، صاحب الفتح الرباني وقصة كفاحه العجيبة في تصنيف مسند الإمام أحمد بن حنبل وشرحه ثم طبعه وإصداره، التي شغلته قرابة أربعين عاما. هذا الرجل العظيم الذي نفض يديه من عرض الدنيا. وعكف في وحدة المتبتلين على عمله العلمي الكبير ـ لا يشغله شيء عن القراءة والكتابة، التحبير والتدبيج، التحقيق والتدقيق وتقصي المراجع من هنا وهناك.. حتى الهند ومطابعها وكتبها. وهو ليل نهار قابع في مكتبه في أحد أزقة القاهرة، لا يزور، ولا يزار، إلا في المناسبات

ولا يقرأ الجرائد أو يسمع الراديو أو يشغل نفسه بهذا العالم الذي يضرم بالشهوات والمطامع.

إن من حق هذا الرجل أن يرفع ذكره ـ وأن يكرم اسمه. كما أن حق المسلمين أن يعرفوا حياته، ويلموا بكفاحه، ليس فحسب إحياء لذكراه أو تمجيدا لعمله، ولكن أيضا ليكون لهم فيه أسوة حسنة. وليعلموا أن لا شيء يمكن أن يقف أمام الهمة العالية والعزيمة الصادقة.

رحمهما ا : الأب والابن، ونضر ثراهما، وأجزل مثوبتهما، وعوضهما في الآخرة. وألحقنا بهم في الصالحين.

﴿ والسابِقُون السابِقُون * أُولَئِكَ الْمقَربون * فِي جناتِ النعِيمِ * ثُلةٌ من الأولِين * وقَلِيلٌ من الآخِرِين ﴾

" وقل الحمد ، وسلام على عباده الذين اصطفَى "

رمضان ١٤١٠

مارس ١٩٩٠

جمال البنا

القسم الأول

وهو يتضمن:

الفصل الأول: ترجمة حياة وعمل الوالد الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا...

الفصل الثاني: عرضا وتحليلاً لخطابات الإمام الشهيد إلى أبيه..

الفصل الأول

ترجمة حياة وعمل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا صاحب (الفتح الرباني) [1] ووالد الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمهما ا ـ

----

* النشأة والصبا:

ولد الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا في قرية شميشرة مركز فُوة محافظة الغربية، وهي قرية صغيرة لا تختلف عن قرى الدلتا، ولا تتميز عنها باستثناء وقوعها على ضفة النيل مباشرة ـ وأن المركز الذي تتبعه " فُوة " له تاريخ عريق.

وكان الشيخ رحمه ا يقول أنه ولد سنة ١٣٠٠ هجرية، ويبدو أنه تاريخٌ سهلَ على الشيخ حِفْظُه، وهناك ما

---

(١) الفتح الرباني هو تصنيف مسند الإمام أحمد بن حنبل واسمه بالكامل " الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وشرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني " وهو في ٢٤ جزء كبيرا.

يؤيد هذه الرواية، فإن الشيخ كان قد استخرج بطاقة من بطاقات إثبات الشخصية حدد فيها سنة ميلاده بأنها سنة ١٨٨٢ وهي توافق سنة ١٣٠٠ هـ [1].

---

(١) كان من صفات الشيخ رحمه ا الدقة والتدوين. وكان يكتب التواريخ الخاصة بحياته وحياة أسرته أولاً بأول في دفاتر عديدة، رأينا بعضها، وظلت موجودة لفترة طويلة لأنها كانت ذات جلود سميكة قوية. وفي سنة ١٣٥٠ هجرية حصل الشيخ على نسخة من كتاب " التوفيقات الإلهامية " وهو كتاب عجيب ونادر ألفه " اللواء المصري " محمد مختار باشا، وطبع سنة ١٣٣١ بمطبعة بولاق مصر المحمية (الموافقة ١٨٩٣ م) وأراد به مؤلفه التوفيق بين التواريخ الهجرية والميلادية بادئـًا بالسنة الأولى من الهجرة وهي توافق سنة ٦٢٢ حتى سنة ١٥٠٠ هجرية ٢٠٧٧ م، والكتاب من القطع الكبير ٢٣ × ١٦ سم في ٧٥٢ صفحة. وقد قسم المؤلف كل صفحة لتشغل سنتين. وفي كل سنة ثلاثة جداول أو خانات. تضم أوائل شهورها العربية ويوم أول كل شهر هجري، وما يوافقه من شهور السنة القبطية، وما يوافقه من شهور السنة الميلادية. وتشمل هذه الخانات قرابة ست سنتيات عرضا. بينما ملأ باقي السطر بأهم الأحداث التاريخية، إسلامية أو مصرية أو عالمية. كما أنه يذكر في كل سنة غاية فيضان النيل بالقيراط والذراع من مقياس الروضة بدءا من سنة ٢٠ هجرية (أي ٦٤٠ ميلادية) حتى سنة ١٣٠٩ الموافقة ١٨٩١ (أي سنة طبع الكتاب) المهم أن

وكانت أسرة الشيخ تمتلك عدة فدادين من الأرض تقوم بزراعتها ويعمل فيها أخوه الأكبر "محمد" وكان محمد فلاحا ماهرا يحسن زراعة أرضه، بل يستصلح بعض الأراضي البور التي كانت شائعة وقتئذ، ومن المحتمل أن أحد أسلاف الأسرة كان يعمل بصناعة البناء. ومن هنا لحق بالأسرة لقب البنا. وهي نقطة لم نحققها (٣).

وكان الابن الأكبر في الأسرة (محمد) هو الشخصية البارزة، فهو الذي يتولى زراعة الأرض واستصلاحها. وقد أراد أن يساعده أخوه (أحمد) في عمله الزراعي. ولكن أمه كانت قد رأت في منامها وهي حامل به أنها ستلد طفلاً وعليها أن تسميه أحمد وتحفظه القرآن، فأصرت على أن يذهب إلى الكُتاب وأيد أبوه ـ وكان رجلاً صالحا ـ هذا الاتجاه وذهب به في سن الرابعة إلى الكُتاب. وقبل شيخُ الكتاب ـ أو كما يطلقون عليه في قرى مصر (سيدنا) ـ

الشيخ رحمه ا   عندما حصل على هذا الكِتاب نقل فيه كل التواريخ التي كان يسجلها في دفاتره. وقد اعتمدنا على الكتاب في كل ما أوردناه من تواريخ. وفي تحويل التواريخ الهجرية إلى ميلادية.

رحمهما ا   ومن الصعب الآن محاولة ذلك مع آخرين.

الطفل رغم أن سِنّه كانت أقل ممن يذهب إلى الكُتاب عادة، ويذكر الشقيق الأستاذ عبد الرحمن أن اسمه كان الشيخ محمد أبو رفاعي " وكان كفيفًا تقيا يفيض وجهه إشراقًا وبشرا " حفظ القرآن على يديه وتعلم أحكام التجويد.

ونمت بسرعة مدارك الصبي، ومع تقدمه في الدراسة كانت فكرة العمل الذي يمكن أن يحترفه دون أن ينقطع عن العلم والمذاكرة تشغله. بعد أن استبعد طبعا العمل في الزراعة الذي لا يترك له وقتًا أو جهدا ـ وفكر أن يجعل من هوايته صناعة، وكانت تلك الهواية هي تصليح الساعات ـ وهي هواية غريبة في هذه القرية الصغيرة، كان قد ذهب في إحدى المرات إلى قرية "مطوبس" ليصلح ساعة عند صانع كان يحضر مطوبس يوم السوق ـ يوم الخميس.. تطورت إلى صداقة أدت به لأن يذهب إلى رشيد ليتلقى أصول الصنعة على صانع محترف في دكانه. ولكن مهارة الصانع لم ترضه، وفي إحدى المرات كان يصلي بالمسجد والتقى بعد الصلاة بإمام المسجد الشيخ أحمد الجارم وكان رجلاً ذا مروءة، فأخبره بقصته وأنه يريد أن يجمع بين العلم والعمل، وأنه لم يجد طلبه لدى صانع رشيد، فطيب الشيخ خاطره

وأرشده إلى محل كبير للساعات في الإسكندرية يملكه الحاج محمد سلطان وأعطاه توصية له، كما عرفه أن بالإسكندرية جامع الشيخ إبراهيم باشا، وهو في الإسكندرية كالأزهر في القاهرة، وبهذا يمكنه مواصلة علومه واستكمال حرفته.

وعاد الفتى إلى شمشيره، وقد عقد العزم على السفر إلى الإسكندرية وعارض ذلك أخوه الأكبر، ولكن أباه قبل وتحمست أمه، وكانت من أسرة علم ودين وكان أبوها صالحا تقيا، وأخوها فقيها يحفظ القرآن ويظفر بتقدير واحترام أهل قريته "سنديون" وهيأت له أمه "الزوادة" التي تكفيه حتى ينظم أموره..

وهكذا ذهب الفتى إلى الإسكندرية فقابل الحاج محمد سلطان وأبلغه تحيات الشيخ الجارم وتوصيته، فأكرمه وأفسح له مجال إحكام الصنعة، ثم ذهب إلى جامع الشيخ إبراهيم باشا وانتظم بين طلابه حتى أتم الدراسة به.

وبعد بضع سنوات عاد الفتى إلى شمشيرة شيخًا شابا، وخطب الجمعة في مسجد شمشيرة وقرت به عين أمه وأخذ يمارس تصليح الساعات في شمشيرة ومطوبس وذكر له أحد

إخوانه اسم "المحمودية" وأنها أولى باهتمامه، فزارها وسر بها وقرر أن يركز العمل فيها..

وكان عليه أن يتم أمرين: الأول أن يؤدي امتحان القرعة، ليخلص من شبح التجنيد، وفيما بعد كتب الشيخ في أحد دفاتره" في أول ديسمبر سنة ١٩٠٢ موافق ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٠ هـ أديت امتحان القرعة العسكرية في القرآن، وكان سني ١٩ سنة. ونجحت نجاحا باهرا". والأمر الثاني أن يتزوج. وهذا أيضا ما تم في يوم الأحد ٨ صفر سنة ١٣٢٢ الموافق ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٤.

وكانت "عروسة" الشيخ فتاة في الخامسة عشر من عمرها، وهي الابنة الصغرى لإبراهيم صقر تاجر مواشي القرية، ويمكن أن يعد أكثر ثراء ـ شيئًا ما ـ من أسرة الشيخ. وكانت فتاته على جانب من الجمال، بيضاء البشرة ـ متناسبة الملامح و "التقاطيع" دقيقة الأطراف: اليدين والقدمين، أسنانها مفلجة، وحواجبها مفروقة. وقد تصور بعض أتراب هذه الريفية الجميلة الصغيرة التي لم تكدح ـ كالفلاحات في الحقل، وكانت تحمل اسما " رومانتيكيا " واعدا "أم السعد" أنها تستحق عريسا أفضل من "المجاور"

الذي لم يكن يفخر بطول أو عرض، مال أو أرض. ولكن ا تعالى كان يدخر لها ما يفضل هذا، وما يجعل لها من اسمها نصيبا، وليحفظ ذكرها في الحافظين..

وكانت أم السعد على صغرها، ذكية مدبرة، واعية، كما كانت على جانب كبير من العناد، فإذا انتهت إلى قرار، فمن الصعب أن تتنازل عنه، وهي صفة ورثها، كما ورث ملامح الوجه، ابنها البكر ـ الإمام الشهيد ـ ولكن العناد عنده تحول إلى صورة سوية أصبح معها " قوة إرادة". وعندما تزوجها الشيخ جعلها تصلي، مع كل فرض فرضا أهملت في أدائه لمدة سنة أو أكثر ـ أي منذ أن بلغت الحلم.

سنوات المحمودية:

وفي السنة التالية ـ ١٩٠٣ ـ انتقل الشيخ بأهله إلى المحمودية التي، أخذت اسمها من اسم السلطان محمود سلطان تركيا عندما شق محمد علي ترعة تبدأ منها، وأطلق عليها ترعة المحمودية وهي الترعة التي تزود الإسكندرية بالماء العذب من النيل وأقيم بجوارها مشروع كبير لمياه الصرف ـ كان الأهلون يسمونه ـ المشروع.. وإن حمل

اسم محطة طلمبات العطف القريبة من المحمودية، والتي يحدث تبادل في الأسماء ما بينهما، ولهذا لم تكن المحمودية قرية، مغمورة، كانت "بندرا" نشطًا وهي تواجه شمشيرة على الضفة الثانية للنيل. ولا يكون على من يريد أن يذهب إليها من شمشيرة إلا ركوب "المعدية". والنيل هناك واسع، عريض، كأنه البحر.. لأنه على مقربة من المصب في رشيد..

وفي هذه الأيام لم تكن المركزية الحضرية قد وصلت إلى الدرجة التي وصلت إليها أيامنا (١٩٩٠) وكان للبنادر شأن وحياة اجتماعية نشطة، نشأت من ملازمة الطبقة الوسطى من صغار الملاك أو التجار لها. كما لم تكن الخصائص التي تميز المدينة وتجعلها قوة جذب بالدرجة التي أصبحت بها الآن. وقد تحدث العقاد عن قنا في شبابه باعتبارها مركزا للآداب يلي القاهرة، وكانت الفرق المسرحية والغنائية تحيي بعض حفلاتها في العطف أو المحمودية. كما نجد اسم عبد الحميد العتال رئيس نقابة العطف من القيادات البارزة في الحركة العمالية في العشرينات.

كانت السنوات الأولى في المحمودية رضية سخية. كان الشيخ "عريسا" شابا، وكانت المحمودية نافذة مفتوحة إذا قيست بشمشيرة. وكان هو وعروسه في ريعان الشباب، فوطن نفسه على الاستقرار بها واشترى بيتًا صغيرا آوى إليه هو وزوجته، كما اشترى " مكانًا " على النيل مباشرة لتصليح وبيع الساعات، ثم توسع مع ظهور "الجِرامُوفُون" والصورة الأولى للاسطوانات وكانت وقتئذ أشبه بالاسطوانة أو كوب الماء" ومن هذا الشكل أخذت اسمها "فأدخلها في تجارته، ولم يكن هذا مستنكرا لأن معظم ما كانت تنطق به هذه الاسطوانات كان تواشيح ومدائح. وكان معظم الملحنين من المشايخ.

على أن هذه اللفتة تكشف عن ناحية خافية في شخصية الشيخ هي وجود الحاسة الفنية، وكانت هذه الحاسة مغروسة في الشيخ ومعظم أبنائه وقد كان الشقيقان عبد الرحمن وعبد الباسط شاعرين، مع ميل خاص للموسيقى وكان لدى الأول حينًا ما " ربابة " وهي الصورة الساذجة للكمان، كما كان لدى الثاني " عودا ". وألف الأستاذ عبد الرحمن مسرحيات إسلامية يمكن أن تجعله رائدا للمسرح الإسلامي، كما ألف

الأستاذ عبد الباسط بعض الأغاني وكان الشقيق محمد. وهو طالب في الأزهر، يتغنى بين زملائه ببعض أغاني عبد الوهاب الأولى، وضمت مكتبة الشيخ مجموعات من مجلة "اللطائف المصورة" كما كان يجمع الروايات المسلسلة التي كانت تنشرها الأهرام أسفل إحدى صفحاتها وكانت هذه الروايات من تأليف شارلس جارفس، وآخرين، وكانت غرامية أو بوليسية. وقد قطع الشيخ القصاصات التي كانت تنشر فيها يوما من يوم، وجلدها، بل أغرب من هذا كان لديه مجموعة كاملة من مجلة "الأمل" التي كانت تصدرها منيرة ثابت، وهي أول سيدة أصدرت صحفًا، "وكانت مجموعات اللطائف المصورة والأمل هما أول ما وقع عليه بصري في مكتب الوالد عندما كان يصطحبني إليه.. وأنا في الخامسة أو السادسة، وكان تصفح صفحاتها والنظر في صورها هو هوايتي، وفي فترة لاحقة كانت هي أول مطالعاتي، ولا أزال أذكر بعض الروايات المسلسلة التي كانت تنشرها هذه الصحف، وقد كانت وفدية متعصبة إذ كانت تلك أيام سعد زغلول، فكان في اللطائف المصورة رواية بعنوان " زغاليل مصر " وأخرى بوليسية " الشبح "وكانت "الأمل" تنشر رواية

مسلسلة بعنوان " قمر بني إسرائيل" عن تاريخ مصر فترة ظهور موسى". وبالطبع فإن الشيخ رحمه ا قرأ هذا كله في شبابه وكان له أثر في تخليص أسلوبه عندما كتب شرح المسند "بلوغ الأماني" من الركاكة والتكلف التي كانت سمة كتابات الفقهاء وقتئذ وجعله أسلوبا سهلاً سائغًا، وهذا ما نجده أيضا في أسلوب الإمام الشهيد رحمه ا فإنه من السهل الممتنع. ولم يكن تصليح الساعات أو بيع الاسطوانات ليمنع الشيخ من مواصلة هوايته العظمى ـ الاطلاع، والمذاكرة وتحصيل العلوم الإسلامية وكان من حسن حظه أن التقَى وقتئذ بالشيخ محمد زهران.

والشيخ محمد زهران كالشيخ البنا نفسه، أحد الأمثلة البارزة على علو الهمة، وقوة الإرادة، فقد كان كفيفًا، ولكن ذلك لم يقعده بجانب نشاطه العملي والعلمي اليومي، من أن يصدر مجلة باسم "الإسعاد" كانت تصدر على غرار مجلة المنار المشهورة. وكان يقوم بإدارتها وتحرير معظم مادتها.

ونشأت علاقة وثيقة بين الشاب القادم من شمشيرة، وبين عالم المحمودية وفقيهها، بدأت أولاً بتلمذة ثم انتهت إلى صداقة حميمة وأخوة كريمة، فكان الوالد رحمه ا يقرأ

للشيخ زهران، ويكتب ما يمليه عليه، ويدور بينهما خلال ذلك حوار مثمر وحديث مفيد.

وبعد فترة قصيرة أصدر الشيخ الوالد أول مطبوعاته وهو " شرح وظيفة سيدي أحمد زروق والمسمى بالفوائد اللاطيفة، في شرح ألفاظ الوظيفة تأليف العالم العلامة، العارف بربه سيدي أحمد الشجاعي رضي ا عنهما " وطبع "على نفقته ملتزمة الفقير إليه تعالى أحمد عبد الرحمن الساعاتي" في مطبعة النجاح لصاحبها إبراهيم خليل بدمنهور. وكان دور الشيخ هو تحقيق النص المنسوخ ـ وليس المطبوع ـ وكانت النسخة المخطوطة فيها شيء من التحريف فعرضها ـ كما قال " على أستاذي الهمام وشيخي الفاضل المقدام ـ العالم المحقق والبحاثة المدقق. محيي السنة ومعيدها ـ ومميت البدعة ومبيدها، خادم السنة والقرآن الأستاذ الشيخ محمد زهران فساعدني على تصحيحه.. "ووقع الشيخ على المقدمة " أحمد عبد الرحمن الساعاتي، طالب علم ومقيم بالعطف".

والشيء الذي لفت نظرنا، وقد عملنا في صناعة الطباعة ردحا من الدهر أن هذا الكتاب الذي طبع سنة

١٣٣٠ (أي ١٩١٣) في إحدى مطابع دمنهور كان متقنًا للغاية. فليس هناك " كبسة " كما يقولون للحروف، أو تباين في توزيع الحبر ما بين الصفحات. أو عدم التطابق ما بين " الجداول " التي كانت تطوق كل صفحة. وهذا أمر قلما يتوفر إلا للمطابع الكبيرة.

وصدر "شرح الوظيفة" في ١٠٠ صفحة ١٤ × ٢١ سم وكان ثمنه خمسة وعشرين مليما خالصا أجر البريد..

ولم يكن شرح الوظيفة إلا " بروفة " صغيرة ومتواضعة للعمل الذي سيأخذ الشيخ نفسه به بعد ذلك.

وجاء الأبناء..

بمرور الزمن جاء الأبناء، متواترين.. كل عامين تقريبا ابن أو بنت وكان الابن البكر هو الإمام الشهيد رحمه ا . وتلاه البقية وكان الشيخ يكتب في دفاتره تواريخ الولادة ابنًا ابنًا.. وكانت بنص ما كتبه:

١- في ٢٥ شعبان (١٣٢٤) ولد نجلي حسن يوم الأحد ضحى موافق ١٤ أكتوبر (١٩٠٦).

٢- في ٢ رمضان (١٣٢٦) ولد نجلي عبد الرحمن موافق ٢٨ سبتمبر ١٩٠٨ يوم الأحد.

٣- في ٣ فبراير (١٩١١) ولدت فاطمة [١] بنتي يوافق شهر صفر ١٣٢٩.

٤- في ٢ ربيع الأول (١٣٣١) يوافق ١٠ فبراير ١٩١٣ ولد محمد ابني [٢].

٥- في ١٦ أغسطس ١٩١٥ يوافق ١٦ شوال ١٣٣٤ ولد عبد الباسط نجلي [٣].

٦- في ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٧ يوافق ١٦ يناير سنة ١٩١٩ ولدت لنا بنت أسميناها زينب.

ـ في يوم الأربعاء ٢ ربيع الثاني ١٣٣٨ موافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ توفيت زينب ابنتي.

---

(١) حرم الأستاذ عبد الحكيم عابدين ـ رحمهما ا .

(٢) توفي خلال طبع هذا الكتاب (مارس ١٩٩٠ ـ شعبان ١٤١٠) رحمه ا .

(٣) كان ضابطًا بالبوليس ورافق الإمام الشهيد حتى قبيل أيام من الحادث، واستقال من خدمة البوليس وعمل بالسعودية وتوفى بها، ودفن في البقيع بناء على وصيته، رحمه ا .

٧- ولد لنا أحمد جمال الدين يوم ٥ ربيع الثاني ١٣٣٩ موافق ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٠.

٨- في يوم السبت ٢٢ رجب ١٣٤١ موافق ١٠ مارس سنة ١٩٢٣ ولدت لنا بنت أسميناها فوزية [١].

٩- وكل هؤلاء الأولاد والبنات ولدوا في المحمودية، وفي بيت واحد، بل وفي غرفة واحدة كان يطلق عليها "غرفة الدكة" وإن أطلق عليها الشقيق عبد الباسط رحمه ا " مسقط الرءوس العظيمة ".

١٠- وهكذا على مدار عشرين عاما، أصبح الشيخ والدا لقبيلة صغيرة من الأبناء والبنات، ولكنهم لم يكونوا عبئًا ثقيلاً، فمن بين هؤلاء السبعة كان الاثنان الأخيران في أولى مراحل الطفولة عندما قرر الشيخ ترك المحمودية، وكان الاثنان الأولان قد شقا طريقهما في دراسات ميسرة على ما سيلي بينما كان الاثنان الوسيطان في المدارس والكتاتيب يتلقيان

---

(١) حرم الأستاذ عبد الكريم منصور المحامي، الذي كان مع الإمام الشهيد رحمه ا ليلة الاستشهاد، وأصابه رشاش من رصاصات القتلة، وتوفي سنة ١٩٨٩ رحمه ا .

علومهما الأولية. وكان الشيخ وقد بلغ الأربعين في قمة الرجولة، وقد اتسع عمله، كما أضيف إليه أعمال أخرى.

الشيخ البنا إماما ومأذونًا بالمحمودية:

كان الشيخ قد عقد ـ منذ أن انتقل إلى المحمودية ـ صداقات عديدة مع رجالاتها وفضلائها وتجارها أمثال " علي بك العشري عمدتها إذ ذاك والشيخ أحمد ربيع ومحمد بك القماعي من كبار التجار والأعيان، والشيخ عبد الرحمن موافي من أعيان التجار ومن المتفقهين في الدين. وكان الشيخ عبد الرحمن مغرما بتفسير القرآن فهو يلتقي بالشيخ أحمد فيتناقشان في التفسير ومسائل العلم، ويشترك معهما من عساه أن يكون موجودا، وأعانهما على ذلك أن الشيخ أحمد كان قد اقتنى مكتبة نفيسة جمعت كثيرا من الكتب القيمة التي يحتاج إليها العلماء والباحثون من مختلف العلوم والفنون، وتوثقت العلاقة بينهما، واشتدت فصارا لا يفترقان، وتصادق كذلك مع الشيخ محمد زهران من كبار رجال العلم وفقهائه، وفي يوم استصحب الشيخ عبد الرحمن معه رجلاً وقورا من

كبار الموظفين المتقاعدين ومن ذوي الأملاك اسمه أحمد أفندي الصفتي، له نظارة على مسجد، فطلب إليه أن يكون إمامه وخطيبه، فرفض الشيخ أحمد هذا العرض، إذ أن للمسجد إمامه، وما ينبغي ـ وليس من خلق الرجال ـ أن يزاحمه ما دام يؤدي واجبه كاملاً، ولكن الرجل ألح حرصا على إفادة الناس من علمه فقبل، غير أنه اشترط أن يعمل متطوعا وللعلم، وأن يبقى الإمام حيث هو بمرتبه، وأن يستشار أيضا، فيتحقق بذلك الغرضان واتفقا على ذلك ورحب إمام المسجد بالفكرة، وسر لها.

وفي سنة ١٣٣٢ ألح عليه عمدة البلدة وأهلها وأولوا الرأي فيها أن يكون مأذونًا ثانيا للمحمودية، فما وسعه إلا القبول [١].

وكانت وظيفة المأذون تقف ما بين الترشيح والتعيين، إذْ كان يجب القيام بإجراءات عديدة من قبل أعيان البلد ووجهائها لترشيح من يرون. وكان يجب أن يتقدم بعضهم بضمان المرشح لمدة معينة، ويصدق على هذه الضمانة العمدة وأعيان الناحية ويعتمدها المعاون أو مأمور القسم.

---

(١) كتاب روح وريحان للأستاذ أحمد أنس الحجاجي ص ١١١.

وفيما يلي صورة للضمانة التي وجدت بين أوراق الشيخ "نقلاً عن منشور الداخلية":

أنا الموقع أدناه فلان القاطن بجهة كذا أقر وأعترف بأني قد ضمنت للحكومة المصرية فلانًا بوظيفة مأذون بناحية كذا في مبلغ ٥٠ جنيها ضمان غروم وإلزام بوجه التضامن والتكافل، عن المدة من أبريل سنة ١٩٢١ لغاية مارس سنة ١٩٢٤، في تعاطيه أشغال وظيفته المذكورة ، أو ما يماثلها بأي مصلحة من مصالح الحكومة، ولو كان بطريق النقل أو الانتداب. وذلك في قبض أموال الحكومة بسائر أنواعها، واستلام وحفظ الودائع والأشياء والأوراق ذات القيمة وغير ذلك، بما يعهد به إليه سواء "انكان" مقيدا بالدفاتر أو غير مقيدا. وأقر أيضا بأني مسئول عن أي إهمال، أو عمل يتسبب منه ويترتب عليه خسائر، أو ضرر على الحكومة بدون أبداء أي عذر، أو الإحالة على مضموني بوجهٍ ما. كما وأني أعترف بهذه الضمانة صادرة مني برضاي واختياري بدون إجبار ولا إكراه، وضمانًا لذلك قد أمنت الأطيان الآتي بيانها تفصيلاً وأعطيت هذه الضمانة مني وهي نافذة علي. وأقر أن هذه الأطيان هي ملكِي وهي خالية من الرهن ومن

الإيقاف، وكافة الحقوق العينية، وأتعهد أن لا أتصرف في شيء منها سواء " أنكانت" بعقود مسجلة أو غير مسلجة، إلا بعد انتهاء مدة الضمان وثبوت خلو طرف مضموني في أثنائها.

قيمة الأطيان	مقدر الأطيان المؤمنة	الأحواض
	ش. ق. ف	س. ق. ف

النواحي التي بها الأطيان.

يكتب عند الأطيان "انكانت" غير مشتركة "وانكانت" مشتركة بالميراث أو غيره فيوقع عليها الشريك أو الورثة.

إقرار العمدة والمشايخ والصراف:

نحن عمدة ومشايخ وصراف ناحية كذا " نُقروا " إقرارا صريحا بأن الضامن كفؤ بالضمانة. وأن الأطيان الموضحة للضمانة ملكًا له بطريق الميراث الشرعي، أو خلافه ولا منازع له ولا شريك وهي ليست أطيان جزائر وخالية من كافة الموانع التي تحول دون تأمينها وليس موقعا عليها أي

حق من الحقوق العينية، وإن توقيع الضامن هو المتعامل به في جميع أشغاله، وتعهدنا بتبليغ المديرية في الحال عما يحتمل حصوله بهذه الأطيان من التصرفات.

عمدة الناحية شيخ الناحية صراف الناحية

قد اطلعت على إقرار العمدة والمشايخ والصراف الموقعين أعلاه وتأكدت من صحة توقيعاتهم وأنها بذاتها المستعملة في الأشغال الرسمية فتعتمد تحت مسئوليتهم.

المعاون أو مأمور المركز

واتخذت هذه الإجراءات كلها وقدمت وفي ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٢ الموافق ٢١ يوليو سنة ١٩١٣ جاء خطاب قاضي محكمة رشيد الشرعية [1].

"إلى الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتي مأذون ناحية كفر "مليط" بمركز رشيد.

---

(1) كانت المحمودية وقتئذ تتبع رشيد، ولكن النظم الإدارية فيما بعد جعلتها تتبع دمنهور.

بناء على انتخابك مأذونًا لناحية كفر "مليط" بمركز رشيد. وبناء على أوامر نظارة الحقانية الصادرة في شهر يوليو سنة ١٣ بشأن تعيين المأذون، وبعد اختيارك، قد عيناك مأذونًا للجهة المذكورة. فيقتضي أن تباشر الأعمال التي تطلبها الحكومة بكل همة ونشاط ".

قاضي محكمة رشيد   ٢١ يوليو سنة ١٣

كما أرسل إلى الشيخ في التاريخ نفسه خطابا آخر.

"يقضي قانون الانتخاب الجديد بتشكيل لجان في المدن والقرى لتحرير جداول كشوف الانتخاب. وقد قررت الداخلية في منشورها الذي ستصدره للمديريات، بوجوب البدء حالاً بتشكيل تلك اللجان. ولما كان مأذون كل مدينة أو قرية معينًا بنص القانون عضوا في لجنتها، فيجب عليكم متى دعيتم أن تباشروا مأموريتكم هذه في لجنة الانتخاب، وأن تتفرغوا للعمل فيها، وتواظبوا على الوجود مع بقية الأعضاء في جميع أوقات العمل. ولو دعت الحالة لاستمراره حتى يتم إنشاء الجدول والكشوف المذكورة في الميقات المحدد لذلك

في القانون وهو خمسة عشر يوما من تاريخ صدوره، وحاذروا من التأخير مهما كان عندكم من الأعذار.

تحريرا في يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٣ ـ ٢٧ شعبان سنة " ١٣٣٢".

وكتب الشيخ في دفتره العتيق "في ٢٧ شعبان ١٣٣٢ موافق ٢١ يوليو سنة ١٩١٣ عينت مأذونًا شرعيا بالمحمودية".

والحقيقة أن مأذون البلدة كان بحكم الأمر الواقع والمناخ العام. شيخ البلدة، وإمام مسجدها، ومفتيها، ومستودع أسرار أبنائها، وهي صفات قلما توفرت للمأذونين في المدينة.

* * *

يبدو أن المأذونية، وتصليح وبيع الساعات لم يكفيا لسد حاجة الشيخ بعد قدوم الأبناء وزيادة الأعباء، وزين له البعض أن يفتتح محل بقالة، وشجعه على ذلك بتيسير بعض ما يلزم. ولكن التجربة كانت فاشلة وخسر الشيخ معظم ما أنفقه، فهذا العمل يتطلب التفرغ، كما لا يكون فيه مناص من

قبول البيع بالأجل، والإلحاف في الطلب. ولم يكن لدى الشيخ استعداد للتفرغ، أو الإلحاف في طلب تسديد المدينين، أما الأبناء فبدلاً من أن يساعدوا، فقد عاثوا فسادا لعدم خبرتهم، وأغلق المحل. وكان المستفيد الأكبر منه هو الشقيق الأستاذ محمد رحمه ا ،الذي كان يحمل إلى الدكان في طفولته الأولى، ليأكل من الحلاوة الطحينية التي يحبها ما يشاء! وقنع الشيخ من الغنيمة بالإياب. وعندما فكر مرة أخرى في عمل إضافي اختار عملاً لا يعطله، ويمكنه القيام به في ساعات فراغه ـ وهو تجليد الكتب ـ وكانت الوالدة رحمها ا تساعده فيه. وكان يمارسه في البيت. وظلت بعض بقايا " عِدة " هذه الحرفة مختزنة في البيت القديم لسنوات عديدة.

وقد تعمدنا الإشارة إلى هذا الجانب من جوانب حياة الشيخ لأنه يمثل قضية هامة في حياة طالب العلم، فهو إما أن يقبل الطريق " المؤسساتي " المقرر، فيلتحق بكلية أزهرية، ليتعين بعد ذلك في إحدى الوظائف التي تربطه بالنظم المقررة، وتخضعه لضروراتها بحيث لا يستطيع الاستقلال عنها أو التحرر منها، فإذا أراد الاحتفاظ

باستقلاليته، فلابد أن يمارس عملاً حرا كأن يكون محاميا أو طبيبا ويغلب أن تستحوز عليه المهنة، فلا تدع له وقتًا أو اهتماما، أو تجعل اهتمامه العلمي على هامش عمله المهني، فليس في هذه كلها ما كان يحقق للشيخ غايته. وكان لا بد أن يسلك ما سلكه بالفعل، وإن لم تسغه العقول " البرجوازية " التقليدية وكان الشيخ أهدى سبيلاً، وأخذ بما كان يأخذ به أئمة السلف من الاحتراف بحرفة ما تحقق له الكفاف من العيش، ولكنها تتيح له الحرية والوقت، وهما جوهر وأداة رسالته..

* * *

كانت إقامة الشيخ في المحمودية رضية، وقد تكيف معها واطمئن إليها وكون عددا من الصداقات الوثيقة التي ظلت قائمة حتى مات أصحابها. وحفظ هؤلاء الأصدقاء الود للشيخ. وحفظ الشيخ ودهم. وعندما انتقل الشيخ إلى القاهرة اتصلت الخطابات بينهم، وبوجه خاص الشيخ أحمد الطباخ الذي كان بمثابة وكيله في المحمودية. والشيخ محمود دويده وعوض الباسوسي وغيرهم، قد احتفظ الشيخ بهذه الخطابات. ولفت انتباهنا أن الشيخ كتب على " ظرف " أحدها (وكان

يحتفظ بالخطابات داخل ظروفها) " تذكار ـ رحم ا صاحبه " وصاحبه هو عوض الباسوسي. وجاء فيه:

أستاذي الفاضل

أفكر ليل نهار، فيما صنع الدهر معنا، ففرق بين جسمانينا، ولم يفرق بين روحينا، وأنتهي من التفكير حزينًا منقبض الصدر لعدم التمكن من إشفاء الغليل برؤية الحبيب الأنور، أمنيتي في الحياة أن أراكم وأعاشركم كما كنا في غابر الزمن المنير، فنعم هو من زمن، وأن لي فيه السعادة بأسرها وخضعت لي فيه هامة البهجة والسرور. فاللهم رضاء بحسمك العدل وخضوعا وتصديقًا لقولك الحق "وتلك الأيام نداولها بين الناس "فلا أجد مسليا إلا قولك الحكيم، وقول رسولك العظيم وقول الشاعر الحكيم:

وقد يجمع ا ُ الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا.

وعوض الباسوسي الذي أرسل هذا الخطاب بقال بحكم المهنة، ولكنه بفضل مصاحبته للشيخ، وإلمامه بالثقافة

الإسلامية، استطاع أن يدبج هذا الخطاب ليبث فيه لواعج شوقه ونفثات قلبه..

ولم تقتصر صداقات الشيخ على أهل المحمودية. إنها امتدت إلى النواحي المجاورة حتى الإسكندرية والقاهرة، وقد كان بعض هؤلاء من كبار الكتاب الإسلاميين، مثل الأستاذ محمد فريد وجدي، الذي يعز وجود مثيله في خلقه النبيل وعلمه الغزير وثقافته الشاملة. وانكبابه على التأليف. ويبدو أنه وكل الشيخ في إحدى عملياته المالية. ووجدنا بين أوراق الشيخ خطابا بخطه (أي خط الأستاذ فريد وجدي رحمه ا) يرد فيه على وشاية أحد الأشخاص بالشيخ جاء فيه:

حضرة الأستاذ المبجل

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته. وبعد فقد حظيت بكتابكم الكريم، وأعجبت بوفائكم وذكركم لهذا المبلغ التافه طول هذه المدة، وإنني ما ذكرتُها قط، وما عولت على مطالبتكم بها فهي جنب فضلكم لا تعد شيئًا.

ويستطرد..

فثقوا يا حضرة الأستاذ أنني تجاوزت عن هذا المبلغ عن طيب قلب ولا أحب أن تزعجوا أنفسكم بالفكر فيه. وقديما حصل مثل ذلك بين أهل الفضل، فهم إخوان حيث كانوا وأنى وجِدوا..

سنرسل لكم أجزاء من مطبوعاتنا هدية لكم

وتفضلوا بقبول احترامي

محمد فريد وجدي

معركة " الفتح "

أشرنا إشارة عابرة إلى العلاقة التي نشأت ما بين الشيخ الوالد، والشيخ محمد زهران، ومع مرور الأيام توثقت هذه العلاقة. وفي الوقت نفسه كان الشيخ قد كون مكتبته الخاصة، واطلع على كثير من المراجع في التفسير والحديث، وكان أبرزها مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الذي كان مطبوعا في ستة مجلدات كبيرة.

وقف الشيخ أمام المسند، كما يقف المستكشف أمام قارة عذراء مترامية الأطراف، ووصف هو نفسه تلك اللحظات، عندما اطلع فيها على المسند سنة أربعين وثلاثمائة وألف.

وهي نهاية الحلقة الرابعة من عمره وكيف أنه وجده " بحرا خضما يزخر بالعلم ويموج بالفوائد بيد أنه لا فُرضة [1] له ولا سبيل إلى اصطياد فرائده [2] واقتناص شوارده فخطر بالخاطر وناجتني نفسي أن أرتب هذا الكتاب. وأعقل شوارد أحاديثه بالكتب والأبواب، وأقيد كل حديث منه بما يليق به من باب وكتاب، وأقرنه بقرينه وأنيسه، وأجلس كل جليس مع جليسه، فاستصغرت نفسي هنالك، واستعجزتها عن ذلك، ولم يزل الباعث يقوى، والهمة تنازعني والرغبة تتوافر، وأنا أعللها بما في ذلك من التعرض للملام، والانتصاب للقدح والأمن من ذلك جمعية مع الترك، ويأبى ا إلا أن يتم نوره، فتحققت بمعونة ا تعالى العزيمة، وصدقت النية، وخلصت بتوفيقه الطوية في العمل "وما توفيقي إلا با عليه توكلت وإليه أنيب" فاخترت له وضعا يزيد بيانه حسبما أدى إليه اجتهادي وانتهى إليه عرفاني هذا بعد أن أخذت فيه رأي أُولى المعارف والنُهى. وأرباب الفضل والحِجى، وذوي

---

(١) فُرضة (بضم الفاء) محط السفن من البحر (أي الميناء).

(٢) أي جواهرها النفيسة كاللؤلؤ والمرجان ونحوهما.

البصائر الثاقبة والآراء الصائبة واستشرت من لا أتهمه [١] دينًا وأمانةً وصدقًا ونصيحة، وعرضت عليه الوضع الذي عرض لي، واستأمنت به في هذا الصنع الذي رسخ عندي، فكلٌ أشار بما قوى العزيمة، وحقق إخراج ما في النية إلى الفعل في هذه الدرة اليتيمة؛ فاستخرت ا تعالى أن يجعله خالصا لوجهه ويتقبله ويعين على نجزه بصدق النية فيه، ويسهله، وهو المجازي على مودعات السرائر، وخفيات الضمائر، هذا مع كثرة العوائق الدنيوية، وازدحام العوارض الضرورية، وضيق الوقت عن فراغ البال، لمثل هذا المهم والغرض الشريف النادر المثال.

وأنا أسأل كل من وقف عليه ورأى فيه خللاً أو لمح فيه زللاً أن يصلحه حائزا به جزيل الأجر وجميل الشكر. فإن المهذب قليل والكامل عزيز عديم، وأنا معترف بالقصور والتقصير مقر بالتخاف الكبير ".. الخ..

---

(١) أشير بذلك إلى أخي في ا ، وصديقي، وشيخي الأول العالم العامل الصالح الورع الأستاذ الشيخ محمد زهران أسكنني ا وإياه فسيح الجنان.

وأعتقد أن الشيخ رحمه ا ـ رغم كل ما ذكره ـ لم يعرض كافة أبعاد هذه المهمة، مهمة ترتيب المسند، لأن انغماسه في الفكرة حال دون أن يرى هذه الأبعاد طبقًا لما يقال من أن العين لا ترى نفسها، ولعلنا، ونحن خارج الحلبة، وبعد انتهاء المعركة ـ أقدر على تقييم الوضع. فهنا ـ في المحمودية ـ وهي بندر يتبع مركزا، والمركز يتبع مديرية، والمديرية بعيدة عن القاهرة حيث الفقهاء والأئمة. والشيوخ والسلطة. رجل محدود الموارد، مغمور الذكر، ليس له إيراد خاص، وهاهو يعيش على ما ييسره ا له من رزق يوما فيوما، وعليه إعانة أسرة كبيرة. إن رجلاً في هذه الأوضاع لهو آخر واحد يمكنه أن يتصدى لعمل يستغرق عشرات السنين، ويتطلب التفرغ والتركيز، وقد عجز عن أن يقوم به أئمة الأمة منذ أن وضع الإمام أحمد مسنده في القرن الثالث الهجري حتى القرن الثالث عشر، أي طوال عشرة قرون كاملة. وقد حاول الإمام ابن كثير هذه المهمة دون توفيق، وقال كلمة تصور " فدائية" من يتصدى لها " ما زلت أنظر فيه والسراج ينونص حتى كف بصري معه " فكيف يتصور أن يتصدى هذا الرجل القادم من شمشيرة والذي يشتغل

بتصليح الساعات لهذا العمل الذي عجز عنه ابن كثير، ولم يتصدى له أحد من الأئمة؟؟

ولكي تكون الصورة كاملة، نقول أن الشيخ لابد وأن ساوره مصير ما سيقوم به، وما سيأخذ منه عشر سنوات أو أكثر، ماذا سيفعل به؟ إن المؤلف إنما يؤلف ليطبع وينشر ما يؤلفه، وإلا فلا قيمة لما أضاع فيه عمره. فكيف يمكن أن يطبع وينشر مثل هذا العمل..؟ أي مطبعة ـ أو بمعنى أصح أي دار نشر ـ تقبل كتابا لا تكون له قيمة تجارية مجزوم بها إلا بعد طبع كل أجزائه، وقد تكون عشرين جزءا وأين هي هذه الدار، وكم سيأخذ هذا العمل أيضا من السنوات.. ومن المال.. ومن عمر الشيخ.

وكأن كل هذه المثبطات لم تكن كافية، فقد قرر الشيخ أن يضيف إلى الترتيب والتصنيف، وهي المهمة الأصلية، والتي عجز عنها الأئمة، شرحا مسهبا لكل حديث. واستخلاص الأحكام الخ.. مما سيرد بيانه، فتضاعف العمل حجما وازداد صعوبة وفنية، خاصة عملية التخريج المعقدة أو استخلاص الأحكام، وما تجعله يعرض فقها جديدا هو " فقه السنة " أي الأحكام المستخلصة من الحديث، وليس من

المذاهب. وهو ما تبعه عليه بعد ذلك بصورة مختصرة، الشيخ سيد سابق في كتابه " فقه السنة ".

هذه الأبعاد تصور لنا المهمة التي تصدى لها الشيخ وملابساتها وكانت كلها مثبطة، كلها تجعل هذا الرجل آخر رجل يتصور أن يقوم بها، ومع هذا فما قيمة هذه المثبطات كلها أمام الهمة والإرادة والعزيمة؟.. ما قيمتها أمام توفيق ا واصطفائه عبادا لا يتصور الناس أنهم الأمثل " قالوا يا شعيب لا نفقه كثيرا مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفًا، ولولا رهطك لرجمناك!!" "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" "أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، ولم يؤت سعة من المال".

وإنه ليطيب للنفس أن تقرأ ما كتبه الشيخ عن عمله في المسند، وما لابسه أو تعرض له خلال ذلك.

"اعلم رعاك ا أني ابتدأت العمل في ترتيب المسند سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة فقرأته للمرة الأولى حتى انتهى تسويده في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف، وكنت في أثناء عملي في المسودة أُجمِل الأبواب في الكتب. أعني لا أكثر

من ذكر الأبواب، لأن غرضي كان إذ ذاك حصر الأحاديث في كتبها ككتاب الوضوء مثلاً ، أجعل كل حديث يتعلق بالوضوء في هذا الكتاب مع ذكر أبواب قليلة عازما على تفصيلها في التبييض، فلما انتهت المسودة وشرعت في التبييض وجدت صعوبة شديدة في تفصيل الأبواب وتراجمها لأني أريد وضعها بحكمة، وازدادت الصعوبة حينما تذكرت أن في المسند زوائد لعبد ا بن الإمام أحمد، غفلت عن تمييزها من أحاديث المسند أثناء العمل في المسودة، وهي لا تظهر إلا من السند؛ فكل حديث يقال في أول سنده" حدثنا عبد ا " "حدثني أبي" فهو من المسند، وكل حيث يقال في أول سنده "حدثنا عبد ا " "حدثنا فلان" (بغير لفظ أبي) فهو من زوائد عبد ا . وكل حديث يقال في أوله "حدثنا فلان" غير عبد ا وأبيه فهو من زوائد القطيعي . فهذه قاعدة عظيمة ينبغي أن تعرفها، فبقيت بين عاملين، إما أن أسير في العمل مع ترك تمييز الزوائد والتساهل في وضع الأبواب. أو أترك العمل فيه خوفًا من التساهل، ففضلت الترك، وتركت العمل مدة وجيزة لا تزيد عن شهر، واكتفيت بالمسودة، وقلت تنفعني في المراجعة، وفي يوم ما سألني بعض العلماء

عن حديث في المسند لم يهتَد إلى مكانه فيه، فراجعت المسودة واستخرجته بسرعة مدهشة، فسر بذلك الرجل سرورا عظيما وبعد ذهابه اعتراني أسف شديد لعدم إتمام هذا العمل الذي تعبت فيه تسع سنين وكان بيدي الجزء الأخير من المسودة فتصفحته حتى أتيت على آخره كل ذلك وأنا غارق في بحار الأسف والغم الشديد. وبينا أنا كذلك إذ وقع نظري على آخر حديث في المسودة في باب رؤية ا عز وجل يوم القيامة، فقرأته بإمعان وتأمل وإذا نصه " عن صهيب بن سنان رضي ا عنه قال رسول ا ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودوا يا أهل الجنة إن لكم موعدا عند ا لم تروه فقالوا وما هو، ألم تبيض وجوهنا وتزحزحنا عن النار وتدخلنا الجنة، قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فو ا ما أعطاهم ا شيئًا أحب إليهم منه " وفي رواية من النظر إليه " ثم تلا رسول ا ﷺ " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " وما كدت أفرغ من قراءته حتى اعترتني غشية، تصحبها لذة أعقبها فرح وسرور لم أر مثله فيما مضى من عمري، أتدري لِم ذلك؟ لأن هذا الحديث وقع خاتمة كتابي بطريق الصدفة وبإرادة ا عز وجل لا بإرادتي، وجاء هذا

الحديث نفسه في الجزء الرابع من المسند وقد بقي من الكتاب أكثر من ثلثه، أعني مجادين فأكثر وكنت أتوقع وجود أحاديث في رؤية ا تعالى في المجادين الباقيين، أضعها بعد هذا الحديث في الباب نفسه، ولكن لم أجد بعده حديثًا في الرؤية مطلقًا فبقي هذا الحديث آخر الكتاب بإرادة ا تعالى واختياره، وقد أراد ا جل شأنه أن يختم كتابي بهذا الحديث الصحيح الذي رواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي، بل بآية قرآنية يؤخذ منها أعظم تبشير وأحسن فأل، هذا سبب سروري واغتباطي، واستئنافي العمل بكل نشاط واجتهاد لا يعرف الملل فابتدأت قراءة المسند للمرة الثانية، لأجل وضع الرموز على زوائد عبد ا ، وتمييزها عن المسند، وفي هذه المرة ألهمني ا تعالى وضع رموز أيضا على زوائد القطيعي، وما وجده عبد ا بخط أبيه إلى آخر ما أشرت إليه في المقصد السادس، حتى انتهى الكتاب (ثم قرأته للمرة الثالثة في التبييض) وفي هذه المرة أحكمت وضع الأبواب وترتيب الأحاديث بروية وإتقان. وكنت كلما اعتراني ملل أنظر إلى حديث الرؤية فأنشط للعمل، وما زلت كذلك حتى انتهيت من تبييضه في نهاية عام ١٣٥١ هجرية. وإذ ذاك

ألهمني الله تعالى عمل التعليق وذكر السند، إلى آخر ما أشرت إليه في مقدمة التعليق، وهذا يستلزم قراءته فتكون المرة الرابعة وسأقرؤه إن شاء الله تعالى للمرة الخامسة عند تصحيحه أثناء الطبع والله الموفق".

وعن كيفية ترتيب الكتاب وتقسيمه إلى سبعة أقسام قال الشيخ:

" أعلم أرشدني الله وإياك إلى ما فيه الخير والصلاح، أن الله تبارك وتعالى اختار لهذا الكاب تقسيما عجيبا ما كان يخطر لي على بال، وكنت قسمته قبل ذلك مرات متعددة لم تطمئن نفسي لواحدة منها، فسألت الله تعالى أن يختار لي ما فيه الخير؛ فألهمني جل شأنه هذا التقسيم العجيب الذي لا أعلم أحدا سبقني إليه (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فانشرح له صدري واطمأن به قلبي. وذلك أني جعلته سبعة أقسام، ولست أقصد بهذا التقسيم تساوي الأقسام في عدد الأحاديث، أو مقدار الكراريس كلا، بل باعتبار الفنون وإن كان بعضها أطول من بعض فكل قسم منها يصلح أن يكون مؤلفًا مستقلاً مقدما الأهم فالمهم مبتدئًا بقسم التوحيد وأصول الدين، لأنه أول ما يجب على المكلف معرفته ثم الفقه ثم

التفسير ثم الترغيب، ثم الترهيب، ثم التاريخ، ثم القيامة وأحوال الآخرة. مراعيا في وضع كل قسم عقب الآخر حكمة عظيمة يدركها المتأمل، وكل قسم من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب. وبعض الأبواب يدخل فيه جملة فصول، وفي أكثر تراجم الأبواب ما يدل على مغزى أحاديث الباب تسهيلاً للمراجع، وتقريبا للمراجع، وما وضعت كتابا أو بابا أو فصلاً عقب الآخر إلا لحكمة تظهر للمتبصر" [1].

ولم يتعد الشيخ الواقع فيما قال، فالحق أن الكتاب بتقسيمه، وتبيوبه وشرحه، واستخلاصه للأحكام جاء نسيجا وحده وجمع ما بين الحديث والفقه بأسلوب سلس بعيد عن التعقيد. كان " فتحا ربانيا " كما سماه.

ومنذ أن أمسك بقلمه ليضع أول سطر في " الفتح "، لم يدعه إلا في الأيام الثلاثة الأخيرة في حياته، عندما اشتد عليه المرض، وحتى في هذه الأيام نفسها فإنه عندما نقل إلى بيت الشقيق الأستاذ عبد الرحمن ليكون تحت العناية الطبية أخذ

([1]) الصفحات من ٢٢ إلى ٢٥ من الجزء الأول من الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ بتصرف.

معه بعض المراجع اللازمة لإتمام شرح بقية الجزء الثاني والعشرين الذي كان قد طبع نصفه بالفعل.

وخلال هذه المدة الطويلة تعرض الشيخ لضغوط عديدة، واضطر بعد كتابة شرح الجزء ١٥ و ١٦ و ١٧ إلى استبعاد هذا الشرح الذي كان مطولاً [1]، وكتبه من جديد، مختصرا، وعثرنا بين أوراقه على أربعة " كراريس " كبيرة كتب الشيخ على الأولى منها " هذه الكراريس الضخمة [2] هي من كتاب الفتح الرباني، مع تعليق وجيز عليه بدون ذكر الأسانيد، إلا في مواضع يسيرة كما يرى بالتتبع، وهذا كان مقصدي الأول، ولكن شرح ا صدري لذكر سند الأحاديث جميعها في الشرح، مع اتساع الشرح أيضا كما ترى في الفتح

([1]) نحتفظ بهذا الشرح الموسع للأجزاء الثلاثة، ويبدو أنه لا أمل في أن ترى النور، فقد أعيد طبع الفتح " مرتين " كلتاهما " بالأوفست " وليس هناك الهمة أو الأستاذية، أو الأحكام، أو القوة أو الجهد لمجرد طبع هذا الشرح الموسع بدلاً من المختصر.وقد عجزتْ هِمم الطابعين والناشرين والمشرفين حتى عن تصحيح الأخطاء المطبعية وليس إلا التصوير والتصوير فحسب.

([2]) لم تكن هذه مثل كراريس التلاميذ، وكلها كانت طولاً وعرضا تجاوز " الفُلسكاب ".

الرباني مع شرحه بلوغ الأماني المطبوع، لذلك عدلت عن القصد الأول، وتركت هذه الكراريس وا الموفق ".

* * *

وكمثال على أهمية تصنيف المسند، وقيمة عمل الشيخ فيه نورد هذا المثال: دارت مساجلة على صفحات العدد الثاني من المجلد الحادي والثلاثين من "المنار" في باب المراسلة والمناظرة بين السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار والشيخ أحمد محمد شاكر حول حديث عن عبد ا بن مسعود في الإعلان عن المنافقين وهل هو في المسند أم لا. وذهب صاحب المنار نقلاً عن " فتح البيان " إلى أن الحديث موجود في المسند بينما نفى الشيخ شاكر أن يكون موجودا في أحاديث عبد ا بن مسعود في المسند. وطرفا المساجلة كما هو معروف من أعلام الإسلام، فالسيد رشيد رضا رحمه ا هو "راوية" الشيخ محمد عبده وصاحب المنار، والتفسير والمؤلفات العديدة. والشيخ شاكر أحد الذين عنوا بتحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته خدمة دقيقة، فمن ذا يستطيع أن يتصدى للحكم بينهما؟ كتب الشيخ البنا رحمه ا في ١٧ صفر ١٣٥٠ إلى السيد رشيد رضا بالفصل في

الموضوع، فالحديث في المسند فعلاً، ولكنه ليس من أحاديث عبد ا بن مسعود، ولكن من أحاديث "أبي مسعود". وقدم نصه والصفحة التي جاء بها الحديث في النسخة القديمة للمسند المطبوع بالمطبعة الميمنية سنة ١٣١٣.

وجاء في خطاب الشيخ..

"وعلى هذا فيكون ما نقلتموه عن فتح البيان من عزو الحديث إلى المسند صحيحا، والصواب إلى جانبكم من هذه الناحية، وإن وقع تحريف فينقل الرواية من أبي مسعود إلى ابن مسعود، ويكون ما نقله فضيلة الشيخ أحمد شاكر عدم وجود الحديث في مسند ابن مسعود صحيحا أيضا والصواب إلى جانبه من هذه الناحية، وإن وجد الحديث في مسند أحمد من رواية أبي مسعود الأنصاري".

وإلى جانب هذا التحقيق الذي دق على الشيخين الكبيرين وفصل فيه الشيخ البنا، فإن ما يثير الانتباه اللباقة في مناقشة هذه القضية بحيث أن الشيخ رحمه ا جعل كل واحد منهما مصيبا، ولم يخَطئْ أحدا منهما، وهذه اللباقة هي

مما عرف عن الشيخ رحمه ا . ومما ورثه عنه الإمام الشهيد.

كما عثرنا بين أوراق الشيخ على بطاقة " كارت " من الشيخ يوسف الدجوي وهو من هيئة كبار العلماء، وصاحب مؤلفات عديدة ومن الشخصيات الإسلامية البارزة أرسله إلى الشيخ يقول فيه.

"فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ البنا..

سلاما واحتراما، أرجو إرسال الكراس الذي عندكم لنأخذ منه بعض الموضوعات، وإن شئتم رددناه إليكم هو أو غيره. وإن كنتم قد نشرتم منه شيئًا، فأرسلوا لنا المجلة ولكم خالص الشكر وعظيم الاحترام".

يوسف الدجوي

والكارت غير مؤرخ. وقد كانت شهرة الشيخ الدجوي ونشاطه في العشرينات والثلاثينيات، فيحتمل أن يكون قد أرسله قبل قيام الشيخ الوالد بالطبع.

بل وجدنا أيضا خطابا من الشيخ محمد زهران، وهو الشيخ الأول للوالد ـ كما ذكرنا يقول فيه:

حضرة الأخ في ا الأستاذ الورع الهمام خادم السنة الشيخ أحمد البنّا.

السلام عليكم وعلى حضرة الأستاذ المجاهد نجلكم وسائر الأنجال الكرام ورحمة ا .

أما بعد، فإني في شوق إليكم جميعا ولي شغف بأن أزور القاهرة للقائكم وأغراض أخرى. ولكنني منذ نحو عام عراني ضعف قد يمنعني من ذلك، بل ومن مطلق السفر، ولي حاجة ملحة أنزلها بفيحاء مكارمكم وعالي همتكم ألا وهي مساعدتي على تعرف درجة حديث جابر رضي ا عنه في أولية النور المحمدي، فإني لم أجد بعد طول السبر من ذكره من المحدثين غير عبد الرازق، إذ لم يوجد إلا في كتابه وليس هو ممن يخلون كتبهم من الضعيف أو الموضوع ولم أره في كلام متقدمي العلماء الذين لهم قدم في الحديث إنما شاع في كلام المتأخرين وإنما يذكر الحفاظ حديث (كنت أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا) وحديث (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد)، هذا إلا أن في حديث جابر إشكالات عدة، حاولت بنفسي وبواسطة كثير سألتهم دفعها فلم تندفع.

حتى لجأ بعض من سألت من العلماء إلى دعوى أن الحديث من المتشابه الذي استأثر تعالى بعلمه. لهذا أراني مضطرا إلى معرفة سنده، كي أراجعهم في كتب الجرح والتعديل وما عندي منها سوى "الميزان" للذهبي وخلاصة تهذيب الكمال، وفي مكنتكم أن تراجعوا سنده في غيرهما، أي تتعرفوا حال رجال سنده إن لم يوجد ذلك في أحدهما، وذلك بعد أن تعرفوا سنده بمراجعة كتاب عبد الرازق في دار الكتب ولو بواسطة من تختارونه لذلك.

وحاجةٌ أخرى هامة أيضا، ذلك أن السيوطي قال في حديث (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلتها إلا وقي فتنة القبر) أنه حسنه الترمذي وعبارته في "شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبو" في آخر صفحة ٥٨ (أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عمر) وساق الحديث. ولكني رأيت المنذري في الترغيب والترهيب نقل عن الترمذي أنه قال فيه (غريب ليس إسناده بالمتصل) فراجعت الترمذي فتبينت صحة هذا النقل لفظًا ومعنى، فدهشت ثم جوزت أن يكون التحسين من ابن أبي الدنيا بناء

على زيادة [1] الواو في النسخ أو الطبع فحبذا لو روجعت من (شرح الصدور) نسخة أو أكثر غير المطبوعة بالمطبعة الميمنية. على أنكم لابد وأن تكونوا بينتم درجة هذا الحديث لالتزامكم بيان درج أحاديث المسند. والقصد إنما هو معرفة حقيقة درجة الحديثين فهل أنتم ملبوا طلبتي هذه ومحققوا أملي فيكم، لابد أنكم فاعلون إنشاء ا . فقد كرستم حياتكم لخدمة السنة فلكم الهناءة والبشرى بتلكم المنحة العظمى والعناية الكبرى.

هذا ولابن حجر المكي في فتاويه الفقهية أواخر باب الجنائز ج ٢ كلام يفيد التوقف في ثبوت حديث موت الجمعة وهو ما أميل إليه لمعنى لا يخفى عليكم إذا تأملتم ولكن لا بد من تحكيم الحفاظ.

والسلام عليكم ورحمة ا ،،

٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٨

محمد زهران

بمحمودية البحيرة.

---

(1) أي في قوله وابن أبي الدنيا.

فهذه الخطابات والتساؤلات توضح كيف أن الشيخ رحمه ا ، عندما قام بهذا العمل العظيم في تصنيف المسند، أصبح المرجع الذي يعود إليه العلماء فيما يشكل عليهم من معضلات الحديث..

على أن تصنيف وترتيب المسند على أهميته ليس هو أعظم أعمال الشيخ. لأن التصنيف قد يخلو من الأبداع وإن تطلب مهارات فائقة وحنكة ودقة، ولكن العمل الذي يمثل عبقرية الشيخ وتتجلى فيه إضافته المبدعة هو شرحه وجهده في استخلاص الأحكام، وأسلوبه السهل البعيد عن التكلف والتعقيد، ونحن نؤمن أن هذا العمل لم ينل حقه من التقدير.

ومع أن الموت حال دون أن يرى الشيخ " الفتح " كاملاً، فإنه قد تذوق الفرحة الكبرى، فرحة إتمام التبويب والتصنيف، وهذا هو المهم، أما الشرح، فقد كان يكتبه في ساعات فراغه قبل الطبع، أو عند الطبع بالفعل " ملزمةً ملزمةْ ". ولذلك لم يحرمه ا تعالى أن يشهد نجاح نهاية مسيرته الطويلة وقد كُللت بالتوفيق. وعمله الضخم وقد تم. وفي مساء يوم الجمعة العاشر من شوال سنة ١٣٥٢ كتب الشيخ الصفحة الأخيرة من ترتيبه:

"يقول أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه يوم التناد أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الشهير بالساعاتي. إلى هنا انتهى الكتاب الموسوم بالفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني غفر ا لي وله وكان الفراغ من تبييضه في مساء يوم الجمعة المبارك العاشر من شهر شوال سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وذلك بمدينة مصر القاهرة، جعلها ا بالنصر ظافرة وا أسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وذخيرة لي يوم الدين، واغفر اللهم لي ولمن دعا لي بالرحمة والغفران" ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم " كتبه بيده الفانية مؤلف الكتاب أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنّا الشهير بالساعاتي".

يدوم خطى زمانًا في الورى وأنا
تحت التراب ويبقى وجه بارينا
فأعجب لرسمٍ بقى قد مات راسمه
وهذه عادة الباري جرت فينا

فرحمة ا تُهدى نحو كاتِبِهِ

يا ناظرا فيه قل با آمينا.

وصلى ا على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا ".

* * *

عود على بدء في قبضة المدينة

عندما كبر الأبناء خاصة الأولين ـ حسن وعبد الرحمن. بدأت فكرة النزوح إلى القاهرة تراود الشيخ، وعندما سافر الإمام الشهيد إلى القاهرة لأداء امتحان دار العلوم والانتظام فيها، وتعرض لاعتداء أحد زملائه عليه [١] "لم يعد مجال للتردد وأصرت الوالدة رحمها ا ، إما الانتقال إلى القاهرة، أو عودة ابنها إلى المحمودية. وكان الشيخ الوالد

([١]) أشار الإمام الشهيد رحمه ا إلى هذا الاعتداء في كتابه مذكرات الدعوة والداعية عندما تملك الحسد أحد زملائه فسكب عليه وهو نائم ـ زجاجة صبغة يود، ولم يصب الإمام الشهيد بسوء لأنه تنبه وقام فورا وغسل وجهه.

رحمه ا   قد فجع بوفاة والديه سنة ١٩٢٤، فانقطع بذلك أكبر خيط كان يربطه بالبلد، فلم ير مناصا من الانتقال إلى القاهرة رغم أنه كان قد وطد مكانته في المحمودية، واستقرت أموره بها، وعقد صداقات وثيقة عديدة وكان الانتقال إلى القاهرة يقوض هذا كله.

وهكذا حمل الشيخ قبيلته الصغيرة، التي كانت قد تكاملت، إلى القاهرة..

استقرت الأسرة أولاً في شقة بشارع ممتاز بالسيدة زينب..، ولكن لم يطل المقام بها، إذ انتقلت إلى شقة أخرى، ومن هذه "الأخرى" إلى شقة ثالثة.. وهلم جرا. الأمر الذي قد يدهش هذا الجيل.. فعندما قدم الشيخ إلى القاهرة كانت يافطات "شقة للإيجار" تتدلى من بلكونات بيوت القاهرة، وكان المالك يبذل كل جهده ليظفر بمستأجر.. ويقدم له كل التسهيلات والإغراءات..

وفي أحد دفاتر الشيخ وجدنا هذا التسجيل لحركة تنقلات الأسرة..

- أجرنا البيت في مصر شارع ممتاز بالسيدة زينب، والدكان في ٢٢ محرم ١٣٤٣ ـ ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٤ [1].
- انتقلت العائلة من العطف في يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٣٤٣ موافق ٢ سبتمبر سنة ٢٤.
- انتقلنا من بيت ممتاز في آخر يوم من شهر أكتوبر سنة ١٩٢٤ (٣ ربيع ثان سنة ٤٣).
- انقلنا إلى بيت عطفة مندور بشارع سلامة آخر يوم من شهر نوفمبر سنة ٢٤ موافق ٤ جمادي الأولى سنة ١٣٤٣.
- انتقلنا من بيت أحمد أفندي رجب بقسم السيدة إلى بيت درب صبيح بقسم الخليفة في أول شهر مارس ١٩٢٥ موافق ٦ شعبان ١٣٤٣.
- انتقلنا من بيت درب صبيح إلى حارة العسل في أول شهر مايو سنة ١٩٢٥ موافق ٨ شوال ١٣٤٣.

---

(1) كان الشيخ رحمه ا   قد سافر بمفرده إلى القاهرة، وأجر شقة شارع ممتاز، ثم عاد بالأسرة.

- انتقلنا من حارة العسل إلى طالون في أول يوليو سنة ١٩٢٥ موافق ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٣.
- انتقلنا من طالون إلى حارة العبيد في أول أغسطس سنة ١٩٢٥ موافق ١١ محرم.
- ومنها إلى عطفة عطايا في ٤ منه سنة ١٩٢٦.

الملخص أننا مكثنا في شارع ممتاز سبتمبر وأكتوبر، وفي شارع سلامة نوفمبر فقط، وفي بيت أحمد أفندي رجب ديسمبر ويناير وفبراير وفي درب صبيح مارس وأبريل وفي حارة العسل مايو ويونيو وفي طالون يوليه فقط. وفي حارة العبيد من أول أغسطس سنة ١٩٢٥ لغاية ٣ منه ١٩٢٦.

ومكثنا في دكان زين العابدين من ١٧ أغسطس سنة ٢٤ موافق ١٦ محرم ٤٣ إلى ١٥ يناير سنة ٢٥ موافق ١٦ جمادي الثانية ٤٣. وانتقلنا إلى السيوفية في ذلك التاريخ ومكثنا فيه إلى آخر جمادى الثانية سنة ٤٤ موافق ١٤ يناير سنة ١٩٢٦.

وفي الصفحة التالية:

- انتقلنا من بيت الحاج سيد الكائن بعطفة عطايا في أول فبراير سنة ١٩٢٨ إلى منزل مسعود بحارة الروم ومكثنا به ستة شهور لغاية يوليو ١٩٢٨.
- انتقلنا إلى منزل عباس أفندي عبد المعطي بحارة السنان شهر أغسطس فقط.
- ثم أجرنا منزل أحمد أفندي وهبة جميعه بحارة عبد ا بك في أول سبتمبر سنة ١٩٢٨ وا أعلم بالمستقبل ومكثنا فيه خمس سنوات وبضعة شهور.
- خرجنا من منزل أحمد وهبة في آخر يناير سنة ٣٤ وانتقلنا إلى منزل حسن بك لطيف بحارة المعمار ٦ بعطفة عبد ا بك في أول فبراير سنة ١٩٣٤ وا أعلم بما يكون.
- خرجنا من منزل حسن بك لطيف في آخر يونيو سنة ٣٤ وانتقلنا إلى منزل أحمد أفندي أيوب في أول يوليه سنة ١٩٣٤ وا أعلم بما سيكون.
- انتقلت من دكان حسن.. في آخر شهر أبريل سنة ٣٥ وانتقلت إلى دكان ومندرة وقف حافظ بك السيد في أول مايو سنة ٣٥ وا أعلم بما سيكون ".

ونستأنف حركة التنقلات من واقع دفتر الشيخ (كتاب التوفيقات الإلهامية).

- في ١٤ من رمضان ١٣٥٥ موافق ٣٠ أكتوبر ٣٦ تركنا منزل أيوب وانتقلنا إلى منزل جنينة ناميش بالسيدة زينب.
- في يوم الخميس ٢٥ رجب ١٣٥٦ موافق ٣٠ سبتمبر ٣٧ انتقلنا من منزل جنينة ناميش إلى منزل عبد العزيز بك بشارع محمد علي.
- في يوم ١٢ القعدة. و ١٥ يناير سنة ٣٨ انتقلنا بالمطبعة إلى منزل ورثة محمد عثمان نمرة ٥.

وقد يكون مما يقطع ملال هذا السرد" المنزلي " أن يعلم القارئ أن بعض هذه المنازل كانت يوما ما هي مركز الأخوان، عندما انتقلت إلى القاهرة، إذ كان المقر الأول لها هو منزل الأسرة، بحارة عبد ا بك خلال المدة من سنة ٢٨ إلى يناير ٣٤، ثم منزل حارة المعمار. وكانت الأسرة تؤجر المنزل "من بابه" وهو عادة من ثلاثة طوابق. فالطابق الأرضي (ثلاثة غرف وحوش) يعد مركزا للإخوان بينما

يستخدم الطابقان الآخران سكنًا للأسرة. ولأسرة الإمام الشهيد رحمه ا .

كما كان مكتب إدارة مجلة الأخوان المسلمين هو مكتب الشيخ الذي ذكر أخيرا (منزل ورثة محمد عثمان نمرة ٥ بحارة الرسام).

وتدل هذه التنقلات المتوالية على أن الأسرة القادمة من العطف لم تستطع للتو أن تتعرف على المدينة، أو تتكيف مع مناخها ومجتمع "الحارة" "والشارع" وتطلب الأمر مدة طويلة قبل أن تألف الأسرة المدينة وتستقر لمدة سنوات وليس شهورا، في أحد بيوتها..

وللمرة الأولى يشعر الشيخ أنه أصبح في قبضة المدينة الصماء ومجتمعها الذي يختلف عن مجتمع المحمودية القديم المألوف، حيث كان الأطفال ينمون كما ينمو النبات في الحقل ويرتعون في مروجها و "نجيلها" وعلى شطها، وحيث الاقتصاد طبيعيا، منزليا يكفي نفسه بنفسه، فضلا ً عن أصدقائه وأحبائه الذين عقد معهم وشائج المحبة طوال عشرين عاما.

وكانت الأزمة المالية لا تقل عن الوحشة النفسية، ففقد كبر الأبناء ودخلوا السن الحرجة التي يتعين فيها أن يدخلوا المدارس، وما يعنيه هذا من بدل وقمصان وأحذية وطرابيش الخ..

وكان من رحمة ا بالشيخ أنه في هذه الفترة عندما بدأت الضائقة الاقتصادية تطبق عليه أن عين ابنه الأكبر ـ الإمام الشهيد رحمه ا مدرسا بالإسماعيلية بمرتب خمسة عشر جنيها، استطاع أن يمده بمبلغ أربعة أو خمسة جنيهات منها، فضلاً عن أنه استقدم إليه بعض أشقائه لمدة طويلة.. وبهذا خف العبء شيئًا ما.

كانت مشكلة الشيخ أنه لم يكن مستعدا لتخصيص وقت كبير لكسب المال، لأن هذا سيكون على حساب مشروعه العظيم "الفتح الرباني" ولو تيسر له هذا المال لأنفقه على الطبع الذي كان يبتلع أي مبلغ.

وعندما انتقل إلى القاهرة، فإنه خسر مأذونية كفر "مليط"، ولكنه انتهز فرصة خلو مأذونية بعض نواحي السيدة زينب لانتقال مأذونها الشيخ عبد الفتاح البانوبي إلى جزيرة بدران، فكتب إلى قاضي محكمة مصر الابتدائية طالبا تعيينه

مأذونًا في هذه الناحية. وأرفق بطلبه محضر انتخاب موقع عليه من أصحاب الشأن، وبيان بمدارس أبنائه وأنها كلها في منطقة "زين العابدين" بالسيدة. وأجيب الشيخ إلى طلبه، وأخطر الشيخ أهالي منطقة "زين العابدين" بذلك.

ولم تعرف الأسرة الاستقرار إلا عندما انتقلت من السيدة إلى الدرب الأحمر الذي سيكون "حي الأسرة" وحي الأخوان أيضا لفترة ما، كما انتقل الشيخ بمكتبه ومأذونيته إلى حارة الروم، إحدى الحارات التي تعود إلى عهد جوهر الصقلي باني القاهرة.. وانتقل منها إلى حارة الرسام، وهي قريبة منها. وظل بحارة الرسام في المنزل ٥ أولاً ثم المنزل ٩ ثانيا حتى توفاه ا . وقدر للأسرة أن تنتقل من أحشاء الدرب الأحمر إلى حي الحلمية، عندما استأجرت بيتًا في شارع عبد الرحمن بك (قريبا من المركز العام للإخوان بميدان الحلمية). ومن الغريب أنها انتقلت من هذا المنزل إلى شقة في حي شعبي هو "اليكنية" ـ عودة من الحلمية (الخليفة) إلى الدرب الأحمر. وهو انتقال إلى أسوأ بكل المعايير. وأنقذ ا الأسرة من هذه الشقة عندما استأجر الإمام الشهيد رحمه ا الدور الأول بمنزل كبير على ناصيتي شارع إلهامي

وتيمور بالحملية الجديدة وكان له باب على شارع إلهامي والآخر على شارع تيمور. وقد خصص الإمام الشهيد رحمه ا غرفتين تطلان على شارع تيمور لمجلة الشهاب. وأسرة تحريرها وإدارتها وكانت تتكون من الأستاذ سعيد رمضان سكرتير التحرير وكاتب هذه السطور مدير إدارتها والسيد وهبي الفيشاوي للمعاونة. وكان يأتي رحمه ا إليها بعد الاجتماعات. في موهن من الليل. قد يكون الواحدة صباحا ليكتب أبوابه فيها.. بينما احتفظت الأسرة بأربع حجرات كبيرة وصالة يدخل إليها من باب إلهامي.. وقد خسرت الأسرة هذه الشقة بعد حل الأخوان نتيجة لاعتقالنا جميعا ومضايقة السلطات للوالدة وسيدات الأسرة. وعادت الأسرة إلى شقة "اليكنية" لفترة ما.

وهذا العرض لتنقلات الأسرة يوضح أن القاهرة بالنسبة إليها كانت تعني مثلثًا أطرافه الخليفة والسيدة والدرب الأحمر ـ ولم تخرج أبدا عن إطار هذا المثلث..

خلال هذه الفترة الطويلة من سنة ١٩٢٤ عندما جاءت الأسرة من المحمودية حتى سنة ١٩٥٨ عندما توفي الشيخ، كان الشغل الشاغل له أمرين: الأول طبع " الفتح الرباني "

الذي كان قد أتمه، وهذا ما سنتحدث عنه في فقرة تالية مستقلة، والثاني القيام بشئون أسرته، وأعباء الأولاد. وكانت أسوأ الفترات هي السنوات العشر التي تلت الانتقال ٢٤ ـ ٣٤ تقريبا، ففي هذه السنوات، لم تكن الأمور قد استقرت، وكانت عملية كتابة الفتح تستغرق معظم وقت الشيخ، وتقلل نسبيا من ممارسته لحرفته في تصليح الساعات، كما أن الحرفة كانت تتطلب " مواصفات " معينة لم تعد تتوفر في الشيخ كحدة البصر.. والتمشي مع التطور الذي بلغته الحرفة الخ.. فضلاً عن كساد سوقها، وانتهى الأمر بأن تخلص منها. وقد يدل على ذلك أن الصفة التي التصقت بالشيخ في أيامه الأولى (المحمودية ثم السنوات العشر الأولى في القاهرة) كانت هي "الساعاتي" ولم يبرز اسم البنا إلا في الفترة اللاحقة. ومن البداية كانت للشيخ الصفتان: البنا والساعاتي. وقد اختار الصفة الأولى لنجله الأكبر (حسن) والصفة الثانية لنجله الثاني (عبد الرحمن)، وأبرز هو نفسه صفة الساعاتي حتى بداية الأربعينيات عندما هجر هذه الحرفة وأبرز صفة "البنا" خاصة وأن هذه الصفة ـ التي أضفاها على ابنه الإمام الشهيد، أخذت تشتهر. وتكسب

ذيوعا. وقد وجدنا بين أوراق الشيخ خطابا أرسله إلى مجلس محلي بندر المحمودية يدل على الضائقة الاقتصادية التي كان يعانيها. وجاء في الخطاب بعد الديباجة " بما أني أمتاك منزلاً ببندر المحمودية مؤجرا لحضرة مصطفى أفندي محمود الجيار تاجر أخشاب بالبندر المذكور، باعتبار إيجار الشهر ٥٠ خمسين قرشًا صاغًا. وأني أستحق عند المذكور لنا حتى مارس سنة ١٩٣٣ مبلغ ٥ ٨٣ قرش ونصف صاغًا، وأن

المجلس يستحق عندي الآن مبلغ ١ جنيه و ٧٢٠ مليم مقسطة عن كل شهر ٥٠٠ مليما، فقد وكلت للمجلس تحصيل القسط المطلوب مني كل شهر من المستأجر المذكور، حتى ينتهي المطلوب مني، لأني لا أمتاك شيئًا بالمرة من القسط غير هذا المنزل وكسبي الشهري لا يفي حاجاتي الضرورية خصوصا هذه الأيام التي شُلت فيها حركة الكسب بالمرة. وإن مهنتي أصبحت الآن غير ضرورية عند الناس فرجائي من عزتكم قبول هذا الالتماس.. الخ..

٣١/ ٣/ ٣٣

أحمد عبد الرحمن الساعاتي

ولم يكن الشيخ ـ فيما يبدو ـ وحيدا في الضائقة، إذ يبدو أنها أخذت بخناق عامة الناس، وإلا لِم يعجز تاجر الأخشاب المستأجر المنزل عن تسديد إيجاره بانتظام.. وقد كانت تلك هي الفترة التي انعكست فيها الأزمة العالمية على مصر.

وهناك مؤشر آخر يدل على الضائقة الاقتصادية التي كان الشيخ يعانيها، ذلك هو أننا لا نجد في دفتر الشيخ أو أوراقه أية إشارة إلى دفعه الزكاة قبل عام ١٩٤١، عندما تظهر للمرة الأولى جملة ستتكرر دائما كل عام "دفعنا الزكاة والحمد على هذا التوفيق" وقد كانت هذه الجملة هي آخر ما سطره الشيخ في دفتره عام ١٩٥٧، بينما احتفظ بين دفتره بأوراق دون فيها مفردات الزكاة التي كان يدفعها خلال عام ١٩٥٨ عندما توفي. قبل أن يتمها و "يرحلها" إلى دفتره. وهذا الحرص على أداء الزكاة بصورة منهجية له دلالته، وهو يتفق مع دقة الشيخ وحسن فهمه للإسلام.

وجاء العون الأكبر في فترة الشدة هذه من الإمام الشهيد رحمه ا ، على ما أشرنا..

وقد كان المرتب الذي يتقاضاه (خمسة عشر جنيها) يثير الدهشة بمقاييس أيامه وبمقاييس أيامنا، فقد كان مرتب معلم الإلزامي ثلاثة جنيهات أو أقل، وفي فترة لاحقة ـ بداية الأربعينيات، منح خريجو الجامعة "الدرجة السادسة" وأصبحوا يتقاضون ما بين ١٢,٦ جنيها. واعتبر صدقي باشا ممثل أصحاب الأعمال أن الأعمال الحرة "راحت عليها" بعد أن منح خريجو الجامعة "الدرجة السادسة المحترمة" كما قال وقتئذٍ. فإن يعطَى خريج دار العلوم خمسة عشر جنيها في عام ١٩٢٧ أمر يثير الدهشة فعلاً. ولمعرفة قيمة هذا المبلغ هذا الوقت نقول أن الرغيف كان بربع قرش صاغ، أو كما نقول،عشرين تعريفة. وأن ُأقةَ السكر، كانت بسبعة وعشرين مليما، وكان الأطفال يذهبون إلى البقال لشراء بتعريفة شاي وسكر، (أي بنصف قرش) فيفتح البقال درجا كبيرا به سكر ويملأ منه قرطاسا، ثم يفتح درجا آخر فيه شاي ليملأ قرطاسا أصغر حجما، وكان هذا السكر والشاي يكفيان عدة مرات، وكان من المألوف في الأحياء الشعبية أن يطلق الجزار العجل الذي سيذبحه، ويسير به أحد أتباعه وهو يصيح "من دا بكره" فيرد "كورس" الأطفال الذين يسيرون

وراءه "بقرشين" أي أن رطل اللحم من هذا العجل بقرشين، وكانت البيضة بمليم وربما أقل. وفي أيام الحلمية (٤٥ ـ ٤٨) افتتح أحد الناس محلاً لبيع الساندوتش ووضع يافطة كبيرة" قف هنا لتأكل سندوتش ٣ مليم "ولم تكن الحلمية وقتئذ حيا شعبيا، فالمليم كان له قيمة، وكان هناك "النكلة": أي المليمين، والعشرين تعريفة، أو عشرين خردة أي مليمين ونصف وكانت مضلعة ثم التعريفة، أي الخمسة مليمات " ثمن الصحيفة اليومية ١٦ صفحة" ثم القرش الذي كان وحدة التعامل.. فإذا ترجمت هذه الأسعار إلى أسعار سنة ١٩٩٠، لكانت القيمة الشرائية لخمسة عشر جنيها سنة ٢٧ تماثل ما بين ألف وألف وخمسمائة جنيه.

وهكذا استطاع الإمام الشهيد رحمه ا أن يمد والده بما بين ثلاثة وخمسة جنيهات شهريا، فضلاً عن مصروف للشقيق عبد الرحمن، كما أخذ معه بعض أشقائه بالإسماعيلية لفترات طويلة. وفي سنة ١٩٤٥ باع الشيخ دكان المحمودية وما حوله من أرض، وكان على النيل مباشرة. ومن المحتمل أن تكون وراء ذلك الرغبة في مواصلة طبع الفتح أو لمقابلة تكلفة رحلة الحج الوحيدة التي قام بها الشيخ هذا العام.

بهذه الطريقة تمكن الشيخ رحمه ا من اجتياز هذه الأزمة بدرجة من التقشف، وهذا التقشف الذي كان إلى حد ما ـ ضرورة ـ أصبح خطة مقررة حتى عندما انتفتْ ضروراته المادية، لأنه يتفق مع التوجيهات الإسلامية والسنة النبوية، كما كان يتفق مع السياسة التي اتخذها الشيخ في البعد عن السؤال، وعدم التحايل في طلب الرزق أو جعل الكسب المادي هو هدف الحياة، فهذه كلها كانت بعيدة ـ حقًا وصدقًا ـ عن فكر الشيخ، وعن فكر الإمام الشهيد رحمه ا أيضا فعاش متقشفًا وهو ما نأخذ به أنفسنا، خاصة بعد أن اخترنا "العمال" جمهورا نتوجه إليه بدوعتنا.

معركة طبع الفتح:

كانت عملية طبع ونشر "الفتح الرباني" وشرحه بلوغ الأماني معركة فاقت في شدتها معركة التصنيف والتحرير، ففي هذه الحالة الأخيرة ـ حالة الكتابة ـ كان المطلوب هو أن يقسو الشيخ على نفسه ليحقق أفضل ما يمكن أن يصل إليه في هذا المجال. وقد أخذ الشيخ نفسه بذلك ووفق فيه والحمد .. أما في حالة الطبع فلم تكن المسئولية مقصورة عليه. لأنها كانت تتعلق بأموال ومطابع، ودور نشر وقراء ولم تكن هذه لتتعلق بكتاب من جزء واحد ـ يطبعه ويخلص منه. ولكنه كان أمر كتاب من عشرين جزء، كما تصور (و ٢٤ كما صدر بالفعل) وكان يجب على من يشتري الجزء الأول أن يواصل شراء بقية الأجزاء على امتداد عشرين عاما، حتى لا يخِل ذلك بعدد أجزاء النسخ الكاملة، أو أن ينتظر حتى تصدر أجزاؤه كلها وأنى يمكن التوصل إلى شيء كهذا.

كانت المهمة ضخمة، ولم يكن يتصور أن يقوم بها فرد واحد، دع عنك أن هذا الفرد لا يملك مالاً أو جاها. وليس

اتصالات أو علاقات بدور النشر أو المكتبات التي كان يرفض التعامل معها، ويرى فيه نوعا من استنزاف المؤلف. إذْ عندما يأخذ الموزع ٣٠ % (على الأقل) من ثمن الكتاب، و ٤٠ % في كثير من الحالات فماذا يبقى للورق والطبع والتأليف؟.. إن مثل هذه النسب توقف المؤلف على شفا الإفلاس، وتحول دون أن يواصل الطبع.. فضلاً عما في ذلك كله من تعليق لآمر نفسه على غيره، وما قد يضطر إليه من رجاء.. وانتظار الخ..

لهذا قرر الشيخ أن يعتمد على نفسه في الطبع، كما اعتمد عليها في التأليف وهذا من أكبر علو همته وصدق عزيمته.

اشترى الشيخ كمية من حروف الطباعة المشكلة (أي بالشكل من فتحة وضمة الخ..) تكفي لطبع ملزمتين (أي ١٦ صفحة من القطع الذي ظهر به الكتاب) واستأجر لها مكانًا بجواره، واستخدم عاملاً ماهرا أمينًا يقوم بجمع الملزمة فيصححها الشيخ ثم ترسل لتطبع في مطبعة قريبة، بعد أن يشتري الشيخ بنفسه الورق اللازم لها.

كان الشروع في طبع الجزء الأول، كما كتب الشيخ في دفتره، سنة ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤. وفي سنة ١٣٥٩ ـ ١٩٤٠ كتب الشيخ (انتهينا من طبع الجزء الثالث عشر من الفتح الرباني في ربيع الأول) أي أن الشيخ رحمه ا طبع خلال ست سنوات هذه الأجزاء الثلاثة عشر، أي بواقع جزأين كل سنة وهي واقعة تثير الدهشة خاصة مع الضائقة المالية التي كان الشيخ يعانيها، ولابد أن هناك عوامل أخرى مواتية مكنت الشيخ من أن يمضي قدما، لعل منها أنه وإن ظل معتكفًا في مكتبه، معتزلاً الناس، بعيدا عن الدوائر "المشيخية" في الأزهر والأوقاف الخ.. فإن صيت ابنه البكر بدأ ينتشر، وأخذت دعوة الأخوان المسلمين تزحف على الريف والحضر. وعندما أصدر الأخوان المسلمين تزحف على الريف والحضر. وعندما أصدر الأخوان المسلمون أول مجلة لهم باسم "مجلة الأخوان المسلمين" جعلوا الشيخ مديرا لإدارتها ومشرفًا على طباعتها، وقد وجدنا في مكتب الشيخ عشرات الظروف الحكومية معنون عليها "مجلة الأخوان المسلمين بالقاهرة" وقد أثار عجبنا كيف سلكت هذه الظروف طريقها إلى حارة الرسام دون أي إشارة على الظرف.. هل

يعود ذلك إلى أن الخدمة البريدية كانت تؤدى بإخلاص وتفان، أو لأن القاهرة لم تكن قد توسعت هذا التوسع العشوائي، أو لأن شهرة الأخوان المسلمين سمحت بهذا.. وكانت هذه الظروف الحكومية ذات الحجم واللون الواحد تحمل داخلها "الإعلانات القضائية" التي كانت من أهم موارد الصحف وقتئذ ـ وكانت الجهات المختصة توزعها على الصحف ولا ريب أن ظهور الأخوان وانتشارهم، جعل للشيخ جمهورا لم يسع إليه وما كان يمكن أن يصل إليه بطرقه الخاصة.

ويماثل ذلك أن رزقه ا تعالى تأييد اثنين من رجالات "الحجاز" أعجبا بعمل الشيخ إعجابا عظيما، ولأهمية دورهما، وتقديرا لهما، سنفردهما بالفقرة التالية.

الصاحبان:

كان هذان الرجلان هما السيد محمد نصيف. والشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمهما ا .

١ ـ كان السيد محمد نصيف رحمه ا هو "عين أعيان جدة" كما كنا نطلق عليه، وكان الملك عبد العزيز ينزل في

بيته عندما يزور جدة، وكانت هواية السيد نصيف هي تقصي الكتب وجمعها والتعرف على أصحابها وتشجيعهم، وكانت لحظات سعادته هي التي يكتشف كتابا، فيشتري عددا من النسخ منه، ويرسلها هدية لإخوانه. وكان طبيعيا أن يعني هذا الرجل ـ وقلبه معلق بالكتب ـ بالفتح الرباني. وأن يجند نفسه لخدمته. فالفتح الرباني عمل ضخم وهو يتفق مع المذهب المقرر للسعودية ـ المذهب الحنبلي.

ويبدو أن الاتصالات ما بينه وبين الشيخ بدأت بعد ظهور الجزء الأول من الفتح مباشرة. ويحتمل أن تكون قد دارت بعض المراسلات قبل الخطاب الأول الذي عثرنا عليه في أوراق الشيخ. وهو بطاقة معايدة صغيرة مطبوعة أضاف عليها بخطه: " أقدم مع هذا كتابا ورد لكم من الرياض من أفضل أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب " الدعوى " الإصلاحية بنجد رحمه ا تعالى آمين الأستاذ الشيخ محمد بن عبد اللطيف، ولذلك اغتنمت شرف الكتابة إليكم وأني والحمد قد اقتنيت مؤلفكم الحديث واشتريت لي ولأصدقائي خمس نسخ، وأول من أحضره للحجاز العبد " وليس على

المعايدة تاريخ ولكن تاريخ خطاب الشيخ محمد بن عبد اللطيف عام ١٣٥٤.

وطبيعي أن يكون "أول من أحضره للحجاز" هو السيد محمد نصيف رحمه ا ، فمن أولى بذلك منه.

أما الخطاب المرفق المرسل من الشيخ محمد بن عبد اللطيف فكان خطابا تقليديا طويلاً بخط جميل أشبه باللوحة وقال فيه الشيخ بعد ديباجة طويلة ".. وبعد فإنا أشرفنا على ترتيبكم لمسند الإمام أحمد فوجدناه وافيا بالمقصود، فحمدنا ا على ما وهبك من هذا المقام الشريف، وخدمتك للسنة النبوية وإحياء الملة الحنيفية، وهذه منة جسيمة، ونعمة هيأها ا على يديك، لأنك لم تُسبق إلى هذا الصنيع. فعلمنا أن في الزوايا خبايا، وأن لأهل العلم بقايا يذبون عنها زيغ الزائغين وانتحال المبطلين. فالذي أوصيك يا أخي تقوى ا تعالى وإخلاص النية والقصد وإمعان النظر في كتب الشيخين الفاضلين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية. فإن من تبصر فيهما وكرر النظر فيهما فلابد أن نفرق ما كان عليه الرعيل الأول، فإن ا جعل كتبهما في آخر هذا الزمان فرقانًا بين الحق والباطل، وميزان صدق وعدل

بالنظر فيهما تنزاح عن القلب شبهات المبطلين وخيالات الضالين وتسفر لمن وفقه ا عن الحق المبين، وترقى به إلى منازل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين هذا ما نحب لك وندعوك إليه، مع أننا نشكرك على صنيعك هذا وبلغ سلامنا من لديك من الأخوان الذين هم من أهل السنة وأتباع السلف الصالح، وكل من عندنا من المشايخ يشكركم على هذا الصنيع ويدعو لكم بالتوفيق ودمتم سالمين.

وقد وجدنا بمكتب الشيخ الوالد رحمه ا عددا كبيرا من رسائل الشيخ نصيف سنشير إلى بعضها، ففي ١٧ رمضان سنة ١٣٥٥ أرسل خطابا فيه حوالة على بنك مصر بمبلغ خمسة جنيهات (وكان وقتئذ مبلغًا كبيرا) ليقيدها الشيخ من قيمة" مصنفكم الجليل الفتح الرباني (حسب البيان الموضح أدناه) ويعلم ا أني أحببتكم على الغيب لآثاركم النافعة وأي أثر أكبر من خدمة السنة النبوية وإرشاد الأمة الإسلامية بمجلة الأخوان المسلمين وما بها من نصائح غالية في هدوء وسكون وبعد عن الجدال بالباطل فجزاكم ا خيرا أمين، وجعل ا طريقتكم في الإرشاد وخدمة الإسلام على الدوام موافقة لما يحبه ويرضاه أمين، ولا ينبغي أن أنسى تقديم

جزيل السلام للأستاذ الكبير والعالم الشهير الشيخ طنطاوي ودمتم سالمين ".

والشيخ طنطاوي هذا هو الشيخ طنطاوي الجوهري الذي عهد إليه الأخوان برئاسة تحرير مجلتهم تقديرا منهم لعلمه وهو صاحب تفسير يدعى "تفسير الجواهر" وكتابات إسلامية عديدة وهو أحد "الجنرالات" المجهولين الذين ظلمهم الفكر الإسلامي الحديث حقه.

ويتلو ذلك قائمة بأسماء المشتركين وهم السادة محمد نصيف. عبد الملك بليلا، محمد بن عبد ا . عبد الرحمن الشامي. محمد عبد اللطيف. إبراهيم الضبع. عبد الوهاب الدهلوي.

وفي شوال من العام نفسه أرسل السيد محمد نصيف ثلاثة خطابات أحدهما في التاسع منه. والثاني في السادس عشر والثالث في آخره وفي خطاب ٩ يقول بعد الإشارات المعهودة إلى المشتركين القدامى والجدد يقول: "وسلموا على الأستاذ الشيخ حسن البنا حفظكم ا ورعاكم، وقد اطلعت على رسائل الأخوان المسمين المسماه "نحو النور" وسررت بها كثيرا ولم تغادر صغيرة ولا كبيرة من النصائح الغالية

للراعي وللرعية إلا أتت بها بصورة معقولة، مقبولة، مراعية ظروف الأحوال وحال الناس، وا أسأل أن يكلل أعمالكم بالنجاح، ويوفق رجال الدولة الإسلامية للعمل بما في الرسالة. وبغير الشرع الحنيف لا نجاح للمسلمين وإن زين الشياطين لهم أعمالهم الحاضرة، ورأوا قيام بعض الحكومات بغير الدين، فالعاقبة على المخالفين وخيمة وإن طال الوقت. ولا يغرنك تقلب الكافرين في البلاد متاع قليل والعاقبة للمتقين، وا تعالى يرعاكم، وأهدي جزيل سلامي لحضرات الأفاضل أعضاء الجمعية خصوصا المرشد العام حسن البنا حفظهم ا آمين ودمتم سالمين ".

وفي خطاب ١٦ شوال قال: "وقد كتبت إلى الشيخ أبي السمح بمكة أسأله عن سبب السكوت عن طلب جلالة الملك المعظم، وأقد أرسلت نسخة من الفتح الرباني إلى صنعاء لأحد أصهار الإمام يحيى، لأن الزمان قد استدار فصار بعض علماء الزيدية يقرؤون كتب الحديث لأهل السنة البخاري ومسلم، ويقولون إن عوامهم إذا حضروا دروس الفقه لا يحبونها، لأنهم لا يفهموها وإذا حضروا دروس

الحديث يفهمونها، و الحمد والمنة فطرة سليمة وإيمان يماني".

وفي الخطاب المرسل آخر شوال طلب إرسال الكتب مع الحجاج ليخفف على المشتركين أجرة البريد ويستطرد: " وقد جاءني الجواب من الشيخ أبي السمح يقول إن المالية استكثرت ألف جنيه، وأنه استحى أن يخبركم، وأنه يؤمل عند رجوع الملك المعظم للحج فيعيد عليه الكرة مرة أخرى، وأنا قد اخترت الأستاذ الشيخ محمد بن عبد اللطيف ليسعى في الشراء، ولو الخمسة أجزاء التي ظهرت وبعدها يخلق ا ما لا يعلمون. ويخفف المالية شراء الخمسة وكلما صدر جزء يشترونه، وبسبب نقص موارد الحكومة وكثرة مصاريفها صارت تصعب الصرف في أمور تجهلها لأن رجال المالية لا يهتمون بأمر الكتب".

وفي ١٧ المحرم ١٣٥٦ كتب إلى الشيخ يخبره أن الأمير سيف الإسلام الحسين بن الملك يحيى اطلع على الكتاب في مكتبه، فأعجب به ودفع قيمة اشتراكه في نسخة، وأرسل مع خطابه حوالي ثلاثة جنيهات مصرية، وطلب إرسال النسخة سريعا بعد تجليدها إلى صنعاء والأمل بعد

وصول الأجزاء تكثر الرغبة في صنعاء فيطلب بكثرة الهمة الهمةْ يا أستاذ!!.

وفي ٩ القعدة ١٣٥٧ هـ اقترح على الشيخ أن يكتب لفضيلة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ليرغب جلالة الملك في الاشتراك في خمسمائة نسخة: "لأن جلالته أحق الناس بإشاعته وطبعه ولقلة طلب الناس لهذا العلم النافع ستضطرون في المستقبل لعدم إتمام طبعه، ولا يسوغ ذلك في زمن أثار السلف الصالح ومن أحق بالفخار بنشر هذه الكتب غير جلالة الملك، فمن مثله في الملوك طبع كتب التفسير لابن كثير والتاريخ له والمغني والشرح الكبير في الفقه التي عم نفعها الناس وغيرها من ألوف الكتب التي توزع مجانًا على أهل العلم " ويوصي الشيخ بكتابة خطابه بخط جميل مختصر وأن ينوه فيه باشتراك جلالته بواسطة الشيخ السمح، وأنها قليلة ولا يمكن نشر الكتاب كله إلا بمساعدة جلالته بالاشتراك في خمسمائة نسخة، ومسألة الأقساط أنا أهونها على وزير المالية في كل شهر خمسين جنيها.

وليس لدينا ما يثبت أن الشيخ رحمه ا قد كتب إلى الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، ولكن هذا محتمل خاصة وأن الشيخ محمد بن عبد اللطيف قرظ الكتاب تقريظًا حسنًا، ويستبعد أن الشيخ لم يرد تحيته بمثلها ـ على الأقل ـ إن لم يكن بأحسن منها.

وهناك عدد كبير من الخطابات عام ١٣٥٦ لمتابعة تطور اشتراك الملك من ناحية، ولأن السيد نصيف كان يواصل الدعوة للكتاب وللاشتراك فيه، ويفيد الشيخ أولاً بأول بالمشتركين الجدد، وإرسال قيمة اشتراكهم. وفي ١١ من ذي القعدة ١٣٥٦ كتب بعد المقدمات المعهودة: "وتجد أصحابنا يتألمون من أجرة البريد غاية الألم، وهي أجرة باهظة غير معقولة". وعبر عن أمله في رؤية الشيخ وقال: له أن أحد زواره قال أن لحية الشيخ على السنة! "وإن كانت لحيتي أقل من قبضة، ولكن لحية الشيخ أبي السمح وصهره محمد حمزة زيادة عن قبضة، والأخ الهندي عبد العزيز أكثر من قبضتين وثلاثة قبضات تملأ صدره، وسلموا لي على الشيخ حسن، وقد رأيت صورته بطربوش ولحية بارك ا فيه، وفينا جميعا آمين ودمتم سالمين".

وكان من عادة السيد محمد نصيف رحمه ا أن يضمن بعض خطاباته شيئًا من المداعبة من ذلك ما جاء في خطاب في ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٧ عن إغراء الأخوة النجديين للشيخ أبي السمح على الزواج" مع أن عنده عشرة أبناء كان ا في عونه!".

وفي ٧ من ربيع الأول سنة ١٣٥٨ هـ كتب السيد محمد نصيف إلى الشيخ خطابا مطولاً يقول له فيه أنه لما بلغه أن جلالة الملك ابن سعود اشترى كتبا منها كتاب (نصب الراية) ووجد فيها مقدمة "الكوثرى" في الطعن على علماء الجرح والتعديل وأئمة المذاهب الأخرى تسييدا لمذهب أبي حنيفة، وكذبه على شيخ الإسلام ابن تيمية وتجهيلاً له ولغيره من العلماء وللشيخ محمد عبد الوهاب مصلح نجد، وأنه بين ذلك لجلالة الملك، وأن توزيع هذه الكتب لا يجوز، وأن أحق كتاب فيه فخر الدنيا والآخرة هو "الفتح الرباني" لو أمر جلالة الملك بخمسمائة جنيه دفعة واحدة لحضرتكم قيمة نسخ من الكتاب المذكور، فيصدر الكتاب في أقرب وقت وتوزع النسخ على علماء الجهات الذين يزورون جلالة الملك

وقت الحج يكون في ذلك فخر الدنيا والآخرة، ومن أحق بهذا الفخر من جلالته.. فجاء الجواب كالآتي:

"أما كتاب "الفتح الرباني" في ترتيب مسند الإمام أحمد فنحن ممنونين من طبعه واشتراكنا بألف نسخة منه يكون معلوم".

والأمل أن جلالته يأمر المالية بإرسال مبلغ الخمسمائة جنيه مصري مقدما، وهي ليست بكثير، خصوصا وأن معدن الذهب في حره بني سليم ناجح، والبترول ناجح، ستكون بعد عشر سنوات واردات الحكومة نحو عشرة ملايين جنيه ذهبا والحمد رب العالمين ودمتم سالمين ".

ولكن هذا (النطق الملكي) لم يتحقق تماما ولم تشترك الحكومة في ألف نسخة ولكن في مائة.

وظلت الخطابات متصلة ما بين السيد محمد نصيف، والشيخ، وفي كل منها يفيد السيد بزيادة مشترك، أو يطلب إرسال أجزاء معينة أو تجليدها، أو تتضمن حوالات بقيمة الاشتراكات. وفي أحد هذه الخطابات يقول أنه أقنع الشيخ يوسف زينل ونجله الشيخ إبراهيم فاشتريا " نسخة كاملة بواسطة وكيلهم في القاهرة " وآل زينل من كبار سراة

السعودية وقتئذ ويبدو أن السيد نصيف أقنعهم بما هو أكثر من شراء "نسخة كاملة" لأننا وجدنا بين أوراق الشيخ صورة لخطاب شكر للشيخ يوسف زينل. وكانت القاعدة التي وضعها الشيخ لمن يريد المساعدة وتشجيع الطبع هي شراء عدد من النسخ بقيمة مساعدته.

وكل خطابات السيد محمد نصيف رحمه ا تنبض بالعاطفة للشيخ، والإمام الشهيد كذلك وفي كثير منها طلب لـ "رسائل المأثورات" أو "نحو النور" أو مجلدات من "مجلة الأخوان". والخطاب الأخير فيما وجدنا بتاريخ ٨ المحرم ١٣٧٣، وهو خطاب مؤثر يبدو أن السيد كتبه في حالة نفسية سيئة لأنه مضطرب الكتابة شيئًا ما، وفيه يقول: "البال مشغول بعد وفاة أكبر أبنائي حسين رحمه ا ، توفي بمصر وحضرت وفاته بمصر. وكانت إقامتي بمصر للتداوي أحد عشر يوما، وهو كان بصحة وعافية. فبعد وفاته رجعت إلى جدة ومعي أحد أبنيه محمود، كان في مدرسة الهندسة والحربية المصرية، وصل في أول شهر رجب ١٣٧٢ مع البعثة العسكرية السعودية وفقهم ا لخدمة الإسلام، وقد سرت الحكومة السعودية بذلك، وفقها لما يحبه ويرضاه

وجعل الخير على يديها، وسلموا لي على الأنجال، والأصدقاء من هنا يسلمون عليك.

وعاد حفيدي محمود إلى مصر بعد أن سلى أمه وأخته. وقد قال لي طبيب العيون يكون رجوعي إلى مصر بعد عام واحد، حتى يجمد الماء في العين لإجراء العملية.

وخَتَمه: "وربنا يحسن الختام ويتوفانا على الإيمان آمين ".

رحم ا السيد محمد نصيف، وأثابه عن جهوده الطيبة في خدمة السنة والثقافة الإسلامية خير الثواب.

ب ـ وأما الصاحب الثاني فهو فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، وهو عالم سلفي من أصل مصري استوطن مكة، وتولي إمامة الحرم الملكي، وأسس بها دار الحديث، وحظي بمنزلة مكينة من الملك عبد العزيز وعلماء السعودية. والخطاب الأول الذي عثرنا عليه في مكتبة الشيخ يعود إلى ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ هـ وفيه يقول بعد الديباجة:

" فقد أخبرني صديقي الفاضل محمد أفندي مصطفى الفقيه أنكم تفضلتم بإهدائنا نسخة من كتاب الفتح الرباني؛ فلم

يسعني إزاء ذلك التفضل إلا شكركم، والدعاء لكم. وإني منذ رأيت إعلان عن الكتاب. وأنا أثني عليكم وأنوه بعملكم هذا المبرور بين الناس، وقد اشترك بعضهم، وأملي أن يكثر المشتركون في الحجاز إن شاء ا . وليس تنويهي بالكتاب ومرتِبِهِ وخادمه إلا تنويه بالسنة نفسها، ونشرها. وقد كتبت كلمة أرسلتها لمحمد أفندي في هذا العدد لينشرها، فما أدري هل قام بذلك أم لا.

هذا وإنكم يا أخي قد رفعتم رأس مصر بهذا العمل الجليل. وأقمتم الدليل على أن في الكنانة من يخدم السنة ويعمل على إحيائها، فلم يبق لأهل الهند استئثار بهذا الأمر بعد أن ضربتم لهم هذا المثل، أعانكم ا وأجزل ثوابكم وأدام توفيقكم، وجعلني وإياكم ممن يحيون السنة ويميتون البدعة. والمشتركون عندنا أكثر من ١٢ مشتركًا وإن كانوا يتأخرون أحيانًا عن الدفع، فنقوم عن بعضهم، ولا عجب فإن أكثر محبي السنة – إن لم أقل كلهم – ليسوا بأهل ثراء وغِنَى إنما هم من الفقراء.

وإني أكرر الشكر لفضيلتكم، وأسأل ا أن يجزيكم عن محِبكُم في ا خيرا، وأن يجعل هذا الكتاب رابطة ود في

ا ، وإخاء له تعالى لا تنفصم عراها على مر الليالي والأيام.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته

وعلى الهامش كتب:

" وأبشر الأخ بأن الكتاب سيروج جدا بحول ا وقوته، وسأجتهد لدى جلالة الملك ليأخذ منه كمية، وحبذا لو ساعدني الأخ على هذه الأمنية بتجليد الجزئين الأولين تجليدا حسنًا، وكتب عليه الاسم، وأرسلت إليه هدية وأنا سأكتب إلى جلالته اليوم كتابا ممهدا لذلك".

وقد ركز الشيخ أبي السمح جهده لخدمة الكتاب، وفي حمل الملك عبد العزيز على الاشتراك في أكبر عدد ممكن. وبين يدينا عدد من الخطابات تلقي ضوءا على هذه العملية، وتكشف خلالها عن بعض الظروف المالية التي كانت تمر بالمملكة وقتئذ، والتي كانت تقضي عليها بأشد الأساليب تقشفًا: "ولكن المستقبل سيكون أفضل" كما جاء في أحد الخطابات" لأن البترول قد بدأ يظهر وكذلك الذهب في أجياد.

وفي ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٤ كتب إلى الشيخ: " ثم أن نجلكم الكريم حسن أفندي قد لقينا، وزارنا بدار الحديث وقد سررت بلقائه جدا وحمدت ا أن جعله من الدعاة إلى الفضيلة، وقد تسلمنا هديتكم بيد الشكر والثناء على نفسي وعن دار الحديث، جزاكم ا خيرا، وبارك فيكم وأخلف عليكم.

وقد زرنا جلالة الملك ليلة أمس وذكرنا كتاب الفتح وقد ترجمته له ترجمة سر بها وشوقته إلى الاشتراك في مئات من الكتاب، وقد أمرني أن أكلم حضرتكم في ذلك، فهو كان يريد ٢٠٠ نسخة فقط، فراجعته ليأخذ ٥٠٠ فوافق، وأمر أن أكتب لكم في ذلك. أفيدونا لعلنا نحصل لكم على شيء من ثمنها يساعدكم على إتمام الطبع".

وهناك خطاب آخر دون تاريخ بهذا المعنى وفيه يقول: "والمقصود أنني كنت قابلت جلالة الملك، وتذاكرنا في "الفتح" وما إليه، وكان قد وصله منكم هدية منه، فسألني عن فضيلتكم، وعن الكتاب نفسه فأبديت لجلالته ما يسركم، فرغب في الاشتراك بمائتي نسخة، فقلت له: قليل يا مولانا

حتى أبلغناها إلى خمسمائة. ثم طلب مني الاتفاق معكم على أقل ثمن لها من الأبيض والأصفر.. الخ.

ولكن يبدو أن الإجراءات البيروقراطية ومشاغل جلالة الملك أرجأت التنفيذ.

وفي ٢١ صفر سنة ١٣٥٦ كتب الشيخ أبو السمح:

" وإني لخجلان ويعجز القلم عن وصف ذلك الخجل الذي عراني من أجل تأخير اشتراك جلالة الملك في "الفتح"، إذ بعد أن جاء كتابكم الكريم عرضته على جلالة الملك، وبعد أن رد لي الجواب بأنه أمر وزير المالية بما يلزم، وكتب لي وزير المالية بعمل الحساب للعدد المطلوب، فلما وجده فوق الألف جنيه استمهلني أياما، وما أدري إلا بالجواب يقول أن جلالة الملك أمر بوقف المسألة الآن، حتى يتم الطبع فعرفت أن الملك قد روجع في المسألة ليوقفها فوقفت. ولكني عدت فراجعته وقلت: لو أن تشتركوا في مائة نسخة.. الخ.

وفي ١٧ ربيع ١٣٥٦ كتب:

مولاي، لم آل جهدا في الكتابة لجلالة الملك حتى قبل الاشتراك في مائة نسخة، كما ترون في كتابه الرسمي لي،

فأرسلوها مجلدة بالقماش تجليدا ظريفًا من الجلد ٢ قرشًا صاغًا مثلاً واجعلوا منها نحو ثلاثين نسخة جلد أفرنجي لا يزيد عن ٤ قروش صاغ أو ٣ مثلاً.. الخ. وطلب في نهاية الخطاب أن يعيد الشيخ البنا خطاب جلالة الملك الأمر الذي فعله الشيخ بعد أن أشر على الخطاب "كان مع هذا خطاب رسمي من جلالة الملك".

ومن الواضح أن طلب الشيخ أبي السمح إلى الشيخ البنا إعادة خطاب جلالة الملك هو ليمكنه المحاسبة والاحتجاج به إذا طرأ ما يتطلب ذلك لأنه كان المتولي للمسألة كلها.

وفي ٤ رمضان سنة ١٣٥٦ كتب:

".. ثم المعاملة في الاستلام والتسليم بيني وبين الحكومة كما أريتك في كتاب الملك. وفي كتاب آخر منه يقول: "أمرنا المالية باستلام الكتب منك وتسليمك الثمن وكذلك كان، وصار لي الحق أن أزيد ما أغرمه من جيبي من المصاريف، وما أنفقه على العمال، طبعا أنا وحظي، إن أعطتني الحكومة فلله الحمد، وإن لم تعطه أحتسبه في خدمة السنة. وقد تكلفنا في تفريق الصندوق الكبير الذي أرسلتموه

إلى ٦ صناديق ليمكن حمله على الجمال.. الخ. وإن خادمي ليذهب كل ليلة في رمضان إلى المالية بالسند، فيعطَى مرة ٨ جنيه ومرة لا يعطونه، وناس يصبرون بالشهور على مالهم عندنا، ولولا ما للفقير عندهم ـ وإنها مسألة تتعلق بالملك نفسه ـ ما حصلنا على المبلغ بعد سنة. فالحمد على أني إلى ساعة كتابة هذا لم أوفَّ، وآثرتك بالذي حضر، والرجا قبول عذري، فإن التأخير وا لم يكن بيدي بل رغم أنفي وإلى ا المشتكى ".

وبعد هذا التاريخ بيومين فحسب (أي في ٦ رمضان) أرسل إلى الشيخ خطابا جاء فيه بعد الديباجة: " فإلى الآن لم تصل الكتب من جدة، وهذا الذي كنت أعمل له ألف حساب. فإن الحجاج أخذوا يفِدون بكثرة، وإذا كثروا وقعت أزمة في الجِمال، فتغلو البضائع لذلك، وتُعطل في الجمرك إلى أن نجد الجِمال لحملِها. وقد أرسلت لمحمد أفندي نصيف منذ جاءني كتابه المرسل من السويس أي منذ ١٤ يوما، وقد كان صندوقًا ضمن بضاعة لتاجر في جدة اسمه أحمد باعشن فذهب الأفندي إلى الجمرك، ونقل الصندوق إلى منزله، ولكنه لم يجد الجِمال لنقله.. وقد قسمه إلى ستة صناديق

ليمكن حملها. ونسأل ا   أن يسلمها من المطر والسيول حتى تصل، ونسلمها لوزارة المالية، ونستلم الثمن، ثم نرسل لكم ما بقي إن شاء ا . لا يكن عندكم فكرة، والسلام وإنما أرسلت هذا لأطمئنكم وأهنئكم بشهر رمضان".

وهناك عدد من الخطابات كلها تدور حول تسليم وتسلم النسخ، والمتاعب التي لاقاها مع المالية، وأنهم لا يدفعون إلا بعد استلامهم الكتب. وهناك خطابان يحثان الشيخ على اختصار الشرح سنشير إليهما.

وفي خطاب ١١ ربيع الأول ٥٨ (مايو ٣٩) يقول أنه " علم من الأفندي نصيف أن جلالة الملك سلمه ا   سيشترك في ألف نسخة من "الفتح"، ولكن لم يصلني ذلك من ديوان جلالته رسميا، لأنه مسافر إلى الإحساء لأعمالٍ ثم يعود، وسأتصل بجلالته عندما يعود إلى الرياض إن شاء ا   وأتحقق الأمر بنفسي".

وفي ٢ جمادى الأولى سنة ١٩٥٨ أرسل الشيخ أبو السمح للوالد يقول بعد الديباجة: ".. هذا وبلغوا سلامي وعتبي لنجلكم الكريم حسن أفندي، وذلك أنه نشر في النذير لوالدنا عبد اللطيف مقالاً عنوانه " من صعلوك إلى ملك "

باسمه الصريح، ولابد أن تقرأوه إن لم تكونوا قد قرأتموه، وفي المثل العامي المشهور " إذا كان المتكلم مجنونًا كان السامع عاقلاً " فكان حقًا على الأخ حسن أفندي وهو السياسي المحنك والفقيه الديني أن يلاحظ صلتنا وصلتكم بجلالة الملك العربي المسلم ويحافظ عليها، فلا يترك مجالاً لسفيه كهذا يكتب ما كتب مما أساءنا به وأساء الملك وأولاده الأمراء.

ومن جهة الدين، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون بهذه الصفة فالأمل أن يكتب الأستاذ كلمة يمحو بها ما تقدم معتذرا. وفي الحقيقة إن الملك عبد العزيز لا نجد مثله ينصر السنة، وينشر كتبها ويعظم شعائر ا ، وهذه سيرته ماثلة لكل من أراد الحقيقة، أما من أراد الباطل والصيد في الماء العكر. فهذا مخذول.. وختاما سلاما.

والخطاب الأخير الذي عثرنا عليه في أوراق الشيخ بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٣٥٨ وقد كتبه الشيخ أبو السمح في مجلس حضرة السيد محمد نصيف، ولهذا وقع الاثنان عليه وجاء فيه وبعد.. فإني لم آلُ جهدا في تفريج كربتك، وإجابة طلبتك، وإرسال ما بقي لك حتى ييسر ا لي،

وحولت لك المبلغ وقدره ٦ ١/٢ جنيها على بنك مصر. ومع هذا الحوالة بالمبلغ المذكور فتفضل بتسلمها.

رحم ا الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ونضر ثراه.

* * *

واستقراء الخطابات التي كتبها "الصاحبان" يوضح لنا كيف أن إحساسهما العميق بالواجب دفعهما للقيام بهذه الجولات والمحاولات التي وصلت إلى درجة الإلحاح والمتابعة مع الملك نفسه، ثم مع البيروقراطية التي تنتهي إليها الأمور. كما يكشف عن الظروف الاقتصادية القاسية التي كانت تمر بها المملكة وقتئذ ـ والتي جعلت ألف جنيه مبلغًا يعسر على وزارة المالية تيسيره ويتراجع الملك نفسه ـ لم تحل دون أن تقوم الدولة بدور ما. ونعتقد أن هذه المشاعر لو وجدت اليوم بين سراة السعودية وأهل العلم والفضل، ولدى المسئولين في الدولة، لكان حظ الثقافة الإسلامية أفضل بكثير مما هو الآن. إن عهد الجِمال لم يكن أسوأ ـ في ناحية ما ـ من عهد البترول، إن الحجاز قد نال شهادة عراقته عندما وضع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت ثم، ولد الولادة التاريخية الحية عندما جعل الإسلام هذا

البيت مثابةً وأمنًا وقبلة، وعندما ثوى جسد الرسول في بقعة منه تنسكب فيها دموع الخشوع، وترتفع أكف الضراعة وتتعالى مشاعر الحب والولاء من مسلمي العالم أجمع، بما يجعلها روضة من رياض الجنة على الأرض، فأصول هذه البلاد تعود إلى ا والرسول وليس إلى البترول، عليه لعنة ا .

وكان الشيخ البنّا رحمه ا عظيم التقدير لما يقوم به الشيخ عبد الظاهر أبو السمح من جهد، بحكم صفته كمدير لدار الحديث، وإمام للحرم المكي، وبحكم اتصالاته بالملك عبد العزيز، خاصة بعد أن أصبح الكِتاب يدرس في دار الحديث، ويقرأ القارئ في الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من "الفتح الرباني":

"وإنا لنتقدم بأجزل الشكر وعاطر الثناء إلى فضيلة العلامة الأجلّ مدير دار الحديث بمكة المكرمة زاده ا تشريفًا على معاضدته إيانا، واجتهاده في نشر الكتاب وتعميم النفع به حتى صار مقررا على طلبة هذه الدار المباركة تتوالى علينا طلبات الاشتراك فيه من الأرض المقدسة كما أن فضيلته أطرى الكتاب، وقدمه لمحبي السنة أجمل تقديم في

الصحف السيارة، مما كان له أجمل الأثر في نفسنا، وحسبنا أن يجد الكتاب من فضلاء المحدثين هذا التقدير، ويلقى منهم هذه العناية، والكتاب الآن يدرس في الحرمين الشريفين مما يجعلنا نتفاعل بقبوله، ونستبشر فيه برضوان ا ورسوله إن شاء ا ".

والحقيقة أن الشيخ في اعترافه بهذا التجاوب وشكره له كان يجري على أدب الإسلام في رد التحية بأحسن منها، ومن هنا فقد تكررت كلمات شكره على الصفحات الأخيرة لأجزاء المسند سواء كانت "لعين أعيان جدة" السيد محمد نصيف أو تجارها الكرام أو دار الحديث أو غيرها.

مخاوف ومحاذير:

مع هذه المعونات، لم يكن الأمر سهلاً، وقد اصطدم كفاح الصاحبين بالبيروقراطية وعدم الاكتراث، وتمخضت الألف نسخة إلى مائة ترسل بعناء، وتحصل قيمتها على أقساط. وعندما قامت الحرب العالمية الثانية (٣٩ ـ ٤٥) اشتعلت أسعار الورق وخفض الشيخ من حجم الجزء الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ثم اضطر للتوقف هنيهة.

وأهم هذا كل المطلعين على عمله، المقدرين لدوره. وكتب إليه الشيخ أبو السمح من مكة في ٣ من ذي القعدة ١٣٥٧ خطابا جاء فيه: " ونرجو أن تختصروا في الشرح حتى يمكن إتمام الكتاب، فإن الأعمار كما لا يخفى غير مضمونة، وإذا أطلتم الشرح احتجتم إلى مال كثير وعمر طويل، والمال يمكن أن يدرك، ولكن من يضمن طول العمر، وهذا المرحوم السيد رشيد رضا ترك تفسيره ناقصا، وكم من قائل له اختصر، وقائل له اقتصر، فلم يسمع إلا آخر حياته، ولم يدرك ما أمل فلا المطول أُكمل ولا المختصر أُتم، وترك كليهما ناقصا، فلم المسألة ولا تجعل لغيرك فيها يدا، واشرح ما لا بد منه وحسبك تخريج الحديث وشرح غريبه. والإشارة إلى ما اختلف فيه العلماء والدلالة على مواضع البحث فيه فمن اكتفى بما بينته فبها، ومن لم يكتفِ رجع إلى بسط الموضوع في محله والدال على الخير كفاعله ".

وكانت هذه القضية قد شغلت ذهنه قبل ذلك وكتب إلى الشيخ في ٢٢ شوال سنة ١٣٥٦ هـ :"ويرى بعض الأخوان أنكم توسعتم في الشرح حتى خاف أن يطول الكتاب، وأشفق أن تعجز النفقة عن إتمامه، ويرى آخرون أن تقليل الملازم

عما كانت أولاً تخل بنظام التجليد، ووزن كل مجلد. ويقولون أن رفع القيمة لكل جزء ليبقي على ما كان من عدد ملازمه أولاً خير من نقص الملازم، والنتيجة على كل حال واحدة، أما أنا فكل ما ترونه حسنًا فهو عندي حسن إن شاء ا ".

ولم يكن الشيخ أبو السمح وحده هو المشغول بهذه القضية، فالحق أن عدم توفر المال كان تهديدا دائما، وقد توقف الشيخ شيئًا ما قبل صدوره الجزء الخامس، فكتب أحد العلماء الغيورين على السنة هو الشيخ محمود شويل من علماء المدينة المنورة في ١٢ المحرم سنة ٥٦ : "ولقد تأخر طبع الجزء الخامس، حتى وضع كل محب للسنة يده على قلبه، بما آلمه منه ذلك التأخير الذي ظن أن من ورائه تأخير هذا الأثر الذي جلى للأمة سنة نبيها صلى ا عليه وسلم وجمع لها شتيت هذا المسند الذي أضاع فيه صديق هذه الأمة الإمام أحمد بن حنبل الشيباني عمره الثمين ".

وتعجب الشيخ، كيف لا يفكر أحد أبناء الأمة الإسلامية في مد يد المساعدة والمعونة لطبع هذا (المجهر) الإسلامي، الذي عم نوره الآفاق كلها بصدور أجزائه الأربعة الأُولْ : "إني لأستمطر أكُف أهل الصدق والوفاء كسعادة الكريم

الجواد مغازي باشا الذي حج هذا العام، وزار الروضة المطهرة، فأغدق على جيرة المصطفى ﷺ فيضا من سماء كرمه جعلهم يهتفون بذكره. وأستمطر أكف سعادة البدراوي باشا وسيد باشا خشبة وجلال بك محمود القيسي أعضاء مجلس النواب والشيوخ، وقد رأينا كرمهم الحاتمي أثناء حج هذا العام بمكة والمدينة، ما جعل الألسنة تلهج بذكرهم والثناء عليهم.." وبالطبع فإن أحدا من هؤلاء السادة لم يعلم بهذا النداء، ولو علم لما فعل شيئًا، فهناك فرق بين الكرم عند الحج.. وبين المساعدة على إخراج سِفْرٍ علمي ثمين. ويبدو أن الشيخ شويل رحمه ا ـ ولعله مصري الجنسية ـ لم يتقدم إلى أحد من السعودية لتصوره أن المصريين أقدر على المساعدة وقتئذ.

وجدير بالذكر أن علماء السعودية لم يكونوا وحدهم الذين شُغلوا بهذا الأمر فقد كتب أحد علماء مصر المشهورين وهو الشيخ أبو العيون إلى الشيخ خطابا في ٤/ ٩/ ١٣٥٦ (٦/ ١٠/ ٤٠) يقول فيه بعد الديباجة:

"سيدي ـ طالما فكرت في الكتابة إليكم في الشأن الذي أحرر لكم فيه هذه الرسالة حتى وفقني ا من فضله اليوم،

فكان فرصة سعيدة، لنهنئكم بحلول شهر رمضان المبارك أطال ا   حياتكم النافعة إلى أمثاله.

أما الأمر الذي غاب الخجل من التدخل فيه الرغبة في نشر فضلكم، وعموم النفع بكم، وتمام عملكم بالخير، فهو الإشارة على حضرتكم، بانتهاز فرصة الورق وارتفاع أسعاره الذي يعوق السير في الطبع بالسرعة العادية، زيادة على ما عرقل سبل تصريف الكتاب في أقطار الإسلام من عوائق الحرب، وانتهاز تلك الفرصة يكون إن شاء ا   ببذل وقتكم النفيس في تدوين شرحكم القيم لأحاديث الكتاب المبارك، أي أني أتمنى لو تفضلتم بتوفيق ا   فسبقتم بالشرح والتدوين، ولم تنتظروا شرح الأحاديث مع طبعها أو قبيل طبعها، فحبذا لو حثثتم نفسكم في ذلك الشرح العظيم جهد المستطاع سرعةً، وإن كنتم في الطبع تسيرون على مقتضى الظروف بطئًا وسرعةً، حتى إذا يسر ا   شئون الطبع وجدتم التأليف أمامكم معدا، فتكونون بذلك قد ادخرتم للإسلام والمسلمين من علمكم النافع، وجمعكم المفيد خير ذخيرة تحت الطبع، وا   المسئول بكرمه وجوده أن يمد حياتكم المباركة،

حتى تروا الكتاب كله مطبوعا، مع شرحكم البديع طبعا يقر عينكم وعيون الناس.. الخ."

وكتب عبد العزيز محمد باشا، وهو وزير سابق للأوقاف في ١٠ ذو القعدة ١٣٦٦ (٢٥ سبتمبر ١٩٤٧):

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

جلت أثاره، وعظمت مناقبه وكثرت مآثره، بعد التحية الطيبة والسلام العاطر هل لي أن أسألكم عما تم طبعه من كتابكم الجليل المعنون بالفتح الرباني بعد الجزء الثالث عشر وثمن كل جزء، فإني حريص على اقتناء باقي أجزائه وأرجو منكم الحرص على إتمامه، قبل مفارقتكم هذه الدار بعد عمر طويل إن شاء ا ، فإن عملكم هذا عمل مفيد لم تُسبقوا إليه فيما أعلم، إن كان علمي صحيحا، وسيجزيكم ا عنه أجزل المثوبة.

والسلام عليكم ورحمة ا ،،

وجاءه من أحد أفراد أسرة "مخيون" في "أبو حمص" وهي أسرة عريقة كان شبابها يرون في الشيخ رحمه ا أبا روحيا.

حضرة المحترم والدنا المبجل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا بارك ا لنا في حياته ورضي عنه وأرضاه. السلام عليكم ورحمة ا وبركاته. وبعد.. فلم تردوا على بطاقتنا وقد كررنا لكم الزيارة فلم نحظ برؤيتكم إذْ لم نجدكم بالمكتب، فرجائي أن تخبروني بما تم في المسند والفَتح وهل استمررتم في الطبع أم لا زلتم متوقفين، وندعو ا أن ييسر عليكم الاستمرار في الطبع، وعلى كل حال لا تحرمونا من بركات دعائكم ومراسلاتكم، حتى لا تنقطع عنا أخباركم الطيبة إن شاء ا .

وختاما أكرر سلامي ودعائي أن يمنحكم ا القوة والعافية وطول العمر وحسن العمل آمين.

الخميس ١٤ من المحرم سنة ١٣٦٧

٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٧

أبو بكر مخيون

بعزبة مخيون بأبي حمص

بحيرة.

وأخيرا تلقى الشيخ هذا الخطاب من شخص انتهت به الأيام لأن يقوم بأول حركة مسلحة للتخلص من نظام كان يراه فاسدا.. ودفع حياته ثمنًا لذلك.. تولاه ا بعفوه ورحمته:

حضرة أخينا الشيخ الجليل أحمد بعد الرحمن البنا المحترم ،،

أحييكم بتحية الإسلام الصافية النقية فالسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.. ونحمد ا العلي القدير الذي جمعنا على محبته وربط بين قلوبنا على طاعته فمحبة ا وطاعته هما ملاك الأمر وميزان المؤمنين. ولقد صدق رسول ا صلى ا عليه وسلم حين قال الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلاف وما تناكر منها اختلاف ولقد أحببتك يا شيخنا وا يعلم منذ زمن بعيد ولقد كنت حريصا منذ مدة على اقتناء كل ما وفقك ا لطبعه ولقد كنت دائما أطالع ما تكتبونه بمجلتي الشهاب والمسلمون [1].

([1]) التي كان يصدرها الدكتور سعيد رمضان على غرار الشهاب التي كان يصدرها الإمام الشهيد رحمه ا ومتابعة لها، وكان الشيخ الوالد رحمه ا يكتب فيها، كما كان يكتب في الشهاب، عرضا لأحد الأحاديث وشرحا له.

ونحمد ا العلي الكبير على أن وصلتنا النسخ الثلاثة من مسانيد الأئمة أحمد بن حنبل والشافعي والطيالسي رضي ا عنهم، وقد أخبرنا الأستاذ قسام الرجب، صاحب مكتبة المثنى الذي جلب لنا هذه الكتب، فإنه جلب ثلاث نسخ أخرى من كل كتاب ولقد حرضتُ مع أخوي اللذين اشتريا النسختين الباقيتين كثيرا من الأخوان على اقتناء هذه الكتب. وكثيرا ما كنا نجابه بأن مسند الإمام أحمد غير كامل، وحين تمامه فإنهم سيشترونه، فنحثكم، راجين لكم التوفيق، أن تسرعوا في طبع ما تبقى من هذا الديوان الكبير الذي جمع بين دفتيه كثيرا من السنن، وبذلك تكونون قد رفعتم للسنة منارا عاليا يثيبكم ا عليه إن شاء ا .

وفي الختام، نرجو غاية الرجاء أن ترسلوا لنا رسالة حال الانتهاء من طبع أي جزء من الأجزاء الباقية، وبذلك تكونون قد أسديتم لنا فضلاً نشهد لكم به عند ا يوم العرض الأكبر.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته

٢٨ رجب ١٣٧٧ هـ

أخوكم المحب

صالح عبد ا سرية
بغداد ـ الكرخ ـ سوق الجديد
مدرسة التربية الإسلامية.

السنوات الأخيرة:

كان من المحتمل أن تكون السنوات الأخيرة من حياة الشيخ سنوات هدوء ورضا واستقرار. فقد تخلص من أعباء الأبناء بعد أن كبروا وتوظفوا وتزوجوا،واستراح من الساعات وتصليحها من وقت طويل، واجتاز أزمة الحرب العالمية التي أوقفته حينًا عن النشر، فواصل إصدار أجزائه جزءا فجزءا، واكتسب الكتاب مع الزمن دائرة محدودة من الانتشار، ولكنها كانت تكفي مع اقتصاد الشيخ وضبطه لعملية الطبع ـ للاستمرار ـ حتى يحقق أمل حياته في أن يرى الجزء الأخير مطبوعا، لولا أن تطورت الأمور تطورا مأساويا، وأصابته ـ وهو بعيد عنها ـ في الصميم، فالعداوة التي احتدمت بين الأخوان ووزارة السعديين وصلت إلى قمتها، في حل الأخوان المسلمين في ديسمبر من عام ١٩٤٨، واعتقال الألوف من أعضائها، كان منهم أربعة من

أبنائه الخمسة،وإغلاق شُعبها ومصادرة أموالها، أخذت تتطور من سيئ إلى أسوأ، حتى انبعث أشقاها ليغتال ابنه البكر في ظلام الليل.

ولو كان الشيخ يكتب مذكرات لأخذنا فكرة عن اللوعة التي اجتاحته، والحسرة التي تملكته عندما اضطرته الليالي السود لأن يحمل بيديه جثمان ابنه العزيز الذي كان ملأ حياته ونور بصره وأن يودعه قبره، وحيدا لا تحضره عشرات الألوف التي كانت تشق بهتافها عنان السماء "ا أكبر و الحمد" ولكن تحاصره أسنة حراب البوليس، ولا يعلم إلا ا وحده ما انتاب الشيخ هذا اليوم وما تلاه من أيام، وما كان يفكر فيه خلال الليالي الطويلة التي أعقبت هذا الحدث، وكم سكب من دمع مِدرارٍ، وما هي الهموم والآلام والأحزان التي كانت تعصف به وحيدا في مكتبه.. وبأي عين كان ينظر إلى المستقبل القاتم المدلهم. بعد أن قتل ابنه البكر واعتقل ـ بقية أبنائه ـ واضطروا إلى ترك الشقة الرحبة الواسعة. وما فرضه الحكم العسكري من إرهاب دخل الحواري والأزقة والقرى النائية و "مشط" البيوت بيتًا بيتا وأصاب كل من له علاقة بالإخوان.

لكن الشيخ كان رجلاً مؤمنًا، كان إماما في علمه وفقهه وفهمه للإسلام، وفيم إذن تفيد هذه المعرفة إن لم يكن في مثل هذه الحوادث الجسام وفي مواجهة الآلام، كان الشيخ يعلم أن البلاء قسمة المؤمنين، وأن الشهادة تاج المجاهدين، فحال ذلك دون أن يتهاوى وتماسك، وأخفى ما يحتمل بين جنبيه من لوعات وسجل في دفتره العتيق "في يوم السبت ١٤ منه (أي ربيع الثاني سنة ١٣٦٨) موافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ في الساعة التاسعة مساء اغتيل المرحوم حسن ابني ـ فهدم بفقده ركن من الإسلام ـ رحمه ا رحمة واسعة".

وأرسل إلينا في المعتقل خطابا يواسينا ويوصينا بالصبر والاحتساب، ويذكرنا أن البلاء هو حظ الأنبياء، فالأولياء فالأمثل فالأمثل، وقد أخذ الأخ عبد البديع صقر ـ رحمه ا ـ يقرأ الخطاب على المعتقلين بالطور، وكان عجبه لا ينتهي من أسلوب الخطاب ودقة كتابته وعدم وجود شطب أو خلل فيه.

وأصاب مقتل الإمام البنا الأسرة بضربة لم تفق منها. صحيح أن الإمام الشهيد رحمه ا لم يكن يؤثر أشقاءه بشيء، ولكنه كان للأسرة ذُخرها، وفخرها وأملها. وكانت

تربطه بكل فرد من أفراد الأسرة وشيجة تضرب في أعمق أعماق النفس، وصلة وثيقة من الطفولة حتى الرجولة، فضلاً عن الصورة الدراماتيكية والملابسات الإرهابية التي وقع بها هذا الخطب الجلل. من أجل ذلك فإن الشيخ الوالد لم يعِد أبدا ما كان عليه قبله، حتى وإن كان قد استأنف العمل، كما سنرى، أما الوالدة رحمها ا فقد كان مصابها يجل عن الوصف. وأذكر أنها قبل الحادث كانت تسير بجانبي في شارع الحلمية ودقات حذائها تضرب الأرض بقوة، أما بعده فقد ظلت لمدة طويلة لا تستطيع أن تجلس إلا على عجلة مطاطية منفوخة بالهواء بعد أن أصبحت جلدا على عظم وقد ألِفَتْ ـ حتى بعد خروجنا من المعتقل بعد الحادث بعام تقريبا ـ أن تخرج كل يوم في موهن من الليل لتزور قبر ابنها، وعندما كانت لا تجد وسيلة خاصة للركوب، كانت تنتظر لأكثر من ساعة لظهور أول ترام يذهب إلى الإمام الشافعي، وفشلت كل محاولات إثنائها عن ذلك أو إقناعها بالانتظار حتى تشرق الشمس. أما الشقيقة فوزية فقد كان مصابها مضاعفًا إذْ أصيب زوجها (1) وقتل أخوها فأصبحت

---

(1) هو الأستاذ عبد الكريم منصور الذي كان مع الإمام الشهيد ليلة

مثل جليلة في الزمن القديم، وتمزقت ما بين العناية بزوجها في مستشفى قصر العيني ومواساة أمها. وكأن هذا كله لم يكن كافيا، فقد تطرقت إلى الأسرة إشاعة أن الشقيق عبد الباسط فقد بصره أثر علمه بالحادث، وكتب إلينا الوالد والشقيقة يطلبان خطابا منه بيده ليتأكدا من عدم صحة هذه الشائعة وكان الشقيق عبد الباسط رحمه ا هو أشدنا تأثرا، وكنت الذي يواسيه لأسابيع بعد الحادث وهو يضرب في مجاهل "الطور" ويسير على غير هدى.

لا أعاد ا هذه الأيام السود.. إن مجرد تذكرها، يجعل الجلد يقشعر والعين تدمع.

* * *

كان لابد للحياة أن تسير، فتلك سنة ا التي لا نجد لها تبديلاً، فاستأنف الشيخ عمله، وفي النفس ما فيها، ولعل العمل الآن أصبح سلوته الوحيدة التي يدفن فيها آلامه.. وينسى بها أحزانه، فواصل أسلوب حياته وعمله.

الحادث وأصابته رصاصات القتلة، وجليلة هي أخت جساس وزوجة كليب. وقد قتل جساس كليب ونشأت عن ذلك حرب البسوس، وقتل جساس فيها. ففقدت الزوج والأخ.

وكان الشيخ قد استقر بسلاملك مستقل في حوش المنزل رقم ٩ بحارة الرسام، وهي حارة ضيقة في أحشاء القاهرة "الغورية"، وعلى ناصيتها مسجد الفكهاني. وكان البيت كالبيوت القديمة رحبا واسعا وكان له حوش أو فناء متسع، وفي مواجهته سلاملك مستقل يرتفع بضع درجات عن مستوى أرض الحوش. وهذا هو الذي اتخذه الشيخ مكتبا ومخزنًا للنسخ المطبوعة من "الفتح" ولم يكن حسن الإضاءة أو جيد التهوية، ولكن هذه أمور لم تكن لتشغل الشيخ.

ومن الصباح الباكر حتى منتصف الليل تقريبا كان الشيخ يأوي إلى مكتبه، فيجلس القرفصاء ـ كالكاتب المصري القديم ـ على مقعد عريض ـ هو مربع خشبي، ليس له مسند أو ذراعين، طرحت عليه حشية (شلته) وكان أمامه مكتبة وهو "تزجة" صغيرة احتفظ بها من أيام تصليح الساعات وجعلها مكتبا وهي "تزجه" لابد وأن تثير الخجل في نفوس الذين يحرصون على المكاتب الفخمة ذات المحابر والوراقات.. الخ، وينفقون عليها مئات الجنيهات، فعلى هذه "التزجة" المتواضعة كتبت أعظم موسوعة إسلامية تضم الحديث والفقه.

وكانت الكتب تحيط بالشيخ من كل جانب، وكان فيها الكثير من مطبوعات الهند، التي كانت من أوائل القرن العشرين، فقد نشرت العديد من أمهات كتب الحديث بفضل عناية حاكم ولاية حيدر أباد الدكن وكذلك ملك بهوبال، وهما من أبرز ملوك الإمارات الإسلامية في الهند وقتئذ.

وكانت مكتبة الشيخ عامرة بالمجلدات والمراجع عن الحديث والتفسير والفقه وبقية العلوم الإسلامية وقد وجدت بين أوراقه ورقة كتب عليها بخطه هذين البيتين:

ألا يا مستعير الكتب عني
فإن إعارتي للكتب عار

فمحبوبي من الدنيا كتاب
وهل أبصرت محبوبا يعار؟

وظل الشيخ من عام ٣٨ إلى عام ٤٩ يضيء مكتبه بمصباح بترولي، ولكن هذا المصباح كان "نجفة"، وإلى حد ما تحفة، فقد كان "لمبة" كبيرة مستديرة لها زجاجتها الطويلة

وكانت اللمبة وسط قاعدة نحاسية مستديرة، تربطها سلاسل منقوشة بثقل مستدير، كان يسمح بأن يرفع اللمبة إلى أعلى أو يخفضها إلى أسفل، وعلى ضوء هذا المصباح، ظل الشيخ عشر سنوات يعمل في "الفتح"، على أنه كان أسعد حظًا من ابن كثير الذي ظل يعمل في المسند "والسراج ينونص" حتى كف بصره، فإن الشيخ رحمه ا   أدخل الكهرباء في المكتب عام ١٩٤٩.

ولم يكن الشيخ ليبرح مربضه هذا إلا لأداء الصلاة في جامع الفكهاني على ناصية الحارة، أو في مكتبه إذا أحس بتعب. وكان بالمكتب أريكة "كنبة" صغيرة يتمدد عليها في بعض الحالات وقت القيلولة، وكان يؤتَى له بطعامه من شقته الخاصة بالمنزل نفسه بالدور الثاني.

فإذا انتصف الليل أو كاد أغلق الشيخ مكتبه، وأوى إلى مضجعه في الدور الأعلى، وبهذه الطريقة خاص الشيخ من صعوبات "الموصلات" وما تستنفده من جهد ومال ووقت.

وكانت الحالة المالية للشيخ مستقرة، لأنه أخذ نفسه بالاقتصاد، وكان شعاره هو الحديث النبوي "ما عال من اقتصد". وقد ابتعد عن كل صور التوسع أو المشروعات التي

تجمد ماله القليل أو تبعده عن متناول يده، أو تشغل فكره به، وكان يؤمن بالكتابة ويقيد كل معاملاته المالية، ويقول إن ا تعالى عوده أن لا يخذله، وأن ييسر له ثمن ورق كل جزء من أجزاء "الفتح". وكان ذلك مع مصاريف الطبع، هي المشغلة المالية للشيخ، أما الأكل واللبس وتكلفة الحياة اليومية، فلم تكن تمثل شيئًا مذكورا. وقد كان مما يثير عجبنا أن يوجد لدى الشيخ دائما مبلغ من المال الحاضر في أي وقت، وكنا نلجأ إليه عندما تمس بنا حاجة فنقترض منه، وعندما توفي إلى رحمة ا ، كان دفتره يضم صفحة لكل ابن من أبنائه بها حسابه، وكانت كلها مدينة له. وكان قد ادخر قبل أن يموت بفترة قرابة مائتي جنيه في صندوق بريد (بدون فوائد طبعا) وقد توكأ على ذات يوم ليصرفها من مكتب بريد الأزهر، ليعطيها للشقيق عبد الباسط عندما ألمت به أزمة خانقة. وقبل أن يموت أشار إلى مكان مبلغ من المال ليصرف منه على تجهيزه، وكان في هذا كالوالدة رحمها ا ، فكل منهما ترك ما ينفق على تكفينه وتجهيزه وجنازته .

وكما قلنا في المقدمة، فإن الشيخ لم يكن ليزور أو يزار إلا في المناسبات، ولم يكن يقرأ الجرائد، أو يستمع إلى الراديو، وغني عن القول أنه لم يذهب في حياته إلى سينما أو مسرح، كما لم يخرج طوال الثلاثين عاما الأخيرة من حياته لنزهة أو لرؤية متحف أو حديقة.. الخ. ولعله رأى الأهرام أول قدومه القاهرة، وقد أمضى حياته القاهرية كلها في مثلث السيدة ـ الخليفة ـ الدرب الأحمر.

وكان الشيخ يدخن نوعا من السجاير الرخيصة، وفي بعض الحالات كان يقسم السيجارة قسمين، كما كان يتناول عددا من فناجين القهوة، وكان في متناول يده وابور سبرتو وعدة القهوة، وقد قيض ا له من كان يعينه في هذا، إذ كان في الحوش، رجل يعمل في صناعة الأحذية هو "الأسطى" أحمد الذي تطوع بخدمة الشيخ. فكان يحضر "الخبز" ويغسل فناجين القهوة الخ.. رحمه ا ، فقد توفي بعد وفاة الشيخ. ونعتقد أن تدخين السجاير وشرب القهوة إنما كانا أقل ما يمكن أن يفعله الشيخ لدفع الملل. الذي كان ولابد يستبد به، عندما تتوالى الساعات، ساعة بعد أخرى، وهو منكب على عمله، ويتكرر هذا يوما بعد يوم. في مكتب لا تدخله الشمس،

ولا يظفر بتهوية. وقد قلنا أن الشيخ رحمه ا لم يكن مجردا من الحاسة الفنية في أيامه الأولى، وكان مكتبه في المحمودية على شاطئ النيل، يطل على منظر من أجمل المناظر تَحفه الخضرة ويغسله الهواء وتجففه الشمس، ولعله في إحدى بدوات الشباب أمل أن يكون له "كارتة" يجرها حصان مطهم، ويقطع بها طرقات المحمودية.. وكانت تلك هي أعظم وسيلة للاستمتاع وقتئذ، ولكنه طرح كل هذا، وآثر أن يتبتل للعلم في هذا المكتب المقبض الذي لم يكن ليطيق البقاء فيه ساعات ـ وليس أياما ـ أحد غيره.. فلا أقل من أن يدخن بعض السجائر.. أو يشرب بعض القهوة ولولا إيمانه برسالته، وما كان يلمع وسط ظلمات التنكر والإغفال، من علامات التقدير.. لما استطاع الشيخ أن يواصل عمله في هذه الأوضاع.

وقد عثرنا بين أوراقه على خطاب من أحد شيوخ مكة يطلب منه "الإجازة وترجمة حياته الحافلة" فأرسل الشيخ خطابا جاء فيه:

الأخ الصالح سليمان بن عبد الرحمن الصنيع حفظه ا ونفع به آمين ،،

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته.. وبعد، فقد تسلمت خطابكم من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرازق حمزة، وامتثالاً لأمركم، وحسن ظنكم بي، كتبت الإجازة بخطي وسلمتها لحضرته، وتصلكم إن شاء ا تعالى وأنتم متمتعون بالصحة والعافية. عمم ا النفع بكم وبارك فيكم. أما ترجمتي "الحافلة" فلا تكون في حياتي ولا من صنع يدي " [١]

٥ شعبان ١٣٦٥/ ٤ يوليو ٤٦.

وهذا الخطاب يصور أدب الشيخ وتواضعه الحقيقي، وفي الوقت نفسه فإنه يكشف عن أنه كان يعلم حق العلم قدر نفسه، وقدر العمل العظيم الذي يقوم به، ولكنه كان يتقرب إلى ا بهذا، فلا يجد فيه مبررا لزهوٍ، أو فخرٍ أو استعلاء. وقد قرأنا على غلافٍ لأحد الأصول بخطه هذا التنبيه لـ "أسطى المطبعة" : "الرجا عدم تكسير الورق كثيرا والمحافظة على نظافته بقدر الإمكان، ولا يصح أن يكتب

---

(١) لعل هذه الترجمة التي قمنا بها بعد وفاته بثلاثين عاما أن تكون تحقيقًا لنبوءة الشيخ رحمه ا .

عليه بالإنجليزي كأنه لعبة، لان هذه الأصول ستُجاد ويحتفظ بها جيدا لأنها خط المؤلف [1]".

ورغم العقوق والنكران من "المؤسسة المشيخية" في الأزهر، والأوقاف الخ.. فإن الشيخ لم يعدم من يقدره قدره، ومن يكتب على مظروف مجلة "المسلم" التي ترسلها إليه العشيرة المحمدية :- "مولانا الجليل المبارك العارف با سيدي الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا".

وكان الشيخ يستخدم في كتابته "الريشة" والمحبرة وأنواعا مختلفة من "السن". ولكنه عند ظهور أقلام الحبر استخدم أنواعا منها، وكانت أصابعه الطويلة الرشيقة تمضي هونًا على الورق فتكتب بخط دقيق، ولكنه واضح، وكان يكتب المتن بخط كبير نسبيا، وكان يرقمه ويشكله بالحبر الأحمر. أما الشرح فكان يكتبه بخط دقيق للغاية بحيث أن نصف الصفحة كان يستوعب أربعين سطرا لا يتخللها شطب واحد، ويمكن قراءته على دقته، كما كان في كثير من الحالات يملأ هوامش الصفحة أيضا.

---

(1) وقد جلدها الشيخ رحمه ا .كل جزأين في مجلد حتى الخامس عشر.

وكان الشيخ البنا أقرب إلى الطول منه إلى القصر، وإلى النحافة منه إلى البدانة وإلى البياض منه إلى السمرة.. وكانت يداه طويلتين وأصابعه رشيقة، ناتئ الوجنتين، مقرون الحاجبين واسع الشدقين أشم الأنف، وكان يلبس الجبة والقفطان ويضع العمامة على عادة شيوخ مصر.. وكانت صحة الشيخ بصفة عامة حسنة، ولا أذكر أنه زار طبيبا أو أن طبيبا زاره قبل مرضه الأخير. وقد أجرى عملية فتق في مستشفى (الدمرداش) في ٤ يونيو سنة ٣٤، أجراها له طبيب إنجليزي ماهر، وبعد عشرين سنة (أي سنة ١٩٦٥) كتب الشيخ في دفتره "أصبت بفتق في الجهة اليمنى والحمد على كل حال" وألف أن يلبس حزاما خاصا. كما أنه في السنة السابقة (١٩٥٣ ـ ١٣٧٣) خلع أسنان الفك الأعلى وركب طاقما. ولكنه باستثناء ذلك لم يكن يشكو شيئًا. وكان من عجيب أمر الشيخ أنه لم يزر طبيب عيون، وأنه كان يختار نظارته حسبما اتفق، ثم لا يخلص منها إلا إذا أصابها عطب ليختار أخرى بالطريقة نفسها.

وإذا قدرنا الحياة الروتينية والحبسة في المكتب المقبض ليل نهار، والوحدة الكئيبة التي كان يعيش فيها والسجاير

والقهوة، وعدم عنايته عناية خاصة بالغذاء، وما تعرض له من شدائد ومحن في الثلاثينات ثم النكبة المدلهمة باغتيال ابنه المأمول، وما سحبته من آلام وهموم على بقية حياته وأن هذا الحدث قد أصاب أسرته كلها بضربة قاضية أخرت تقدمها.. نقول إذا قدرنا هذا كله لأدركنا أن الشيخ رحمه ا كان يدافع كل هذه القوى الهدامة الميئسة لكي يحقق أمله العظيم في إتمام "الفتح". كان الفتح هو الذي يمسكه على قيد الحياة، ويعطيه القوة التي استطاع أن يغالب بها عواملَ كان يمكن أن تجعل غيره يتهاوى قبل الوقت الذي أسلم فيه الشيخ الروح.

وحتى الأيام الأخيرة من عمر الشيخ لم ييأس، أو يتوقف عن العمل، وكان قد وصل إلى منتصف الجزء ٢٢ وهو عن التاريخ، ولما أحس بهجوم المرض، حاول أن يعرفني بأسرار عمله، وقال أن الجزء ٢٢ عن التاريخ، وأن شرحه لن يحتاج إلى فنية وأستاذية كبيرة، ونصحني بالرجوع إلى

"البداية والنهاية" لابن كثير لأن تاريخه يعتمد على الحديث، كما يتضمن التخريج، وهو محك الخبرة والأستاذية [1].

---

(1) بعد أن مات الشيخ رحمه ا أهمنا أمر مواصلة الطبع وكتابة الشرح، ولم تأمن الأسرة كلها نفسها، وأرادت أن يقوم بذلك أحد علماء أو شيوخ الأزهر، فاتصلنا بكثير منهم، وشاهدنا العجب من رفض البعض، ومطالبة البعض الآخر بأجر بحساب الملزمة وقال أحدهم أن هذا العمل يتطلب "صبر أيوب، ومال قارون.. وعمر نوح!" واعتذر. وأخيرا اهتدينا إلى الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري أستاذ الحديث بالأزهر، وهو من بلدنا، وممن يقدرون الشيخ تقديرا خاصا، فقبل القيام بشرح وتخريج أحاديث نصف الجزء الثاني والعشرين متطوعا، ووضعنا أنفسنا في خدمته، وقام بهذه المهمة خير قيام، أثابه ا . ولكنه اعتذر عن القيام بالباقي لانتدابه للمغرب. وكونت الأسرة لجنة صغيرة من بعض المعنيين قاموا بالعمل التمهيدي ووقع على كاتب هذه السطور غربلتها، ومراجعتها ووضعها في القالب الأخير، في ضوء توجيه الشقيق الأستاذ عبد الرحمن بملاحظة الاختصار، وعدم كتابة كلمة ليست لها ضرورة لأن الخطأ يأتي مع الإسهاب.. وقد تم العمل والحمد وصدر الكتاب في ٢٤ جزءا. ومن المفارقات أن هذه الموسوعة التي تطلب طبعها من الشيخ وأبنائه أكثر من ثلاثين عاما، طبعت "حالا" بطريقة الأوفست في بيروت دون أن نعلم وجاءنا الصريخ بذلك، ولم نستطع أن نفعل شيئًا، ولكن الأستاذ سيف الإسـلام

ياصاحب "الفتح" كم في "الفتح" من دأبٍ

يكسبك فخرا على الأجيال والسلفِ

ولم يكن ذاك كافيكم، فجدتَ لنا

بمرشد الدعوة السمحاء في الخلفِ

ا أكرمكـ ـم، وا ألهمـكم

أنعم بكم، وبمن أودعت في النطفِ

ابنكم جمال

= ابن الإمام الشهيد استطاع أن يطبعه بعد ذلك مرتين! وكان الشيخ رحمه ا يقول ـ وهو يكافح وسط المصاعب لإصدار الكتاب جزءا بعد جزء أن هذا الكتاب. سيكفي "الولد وولد الولد" وصدق الشيخ. فقد اعتمدنا عليه أنا والشقيق عبد الباسط ـ في أزمات الستينيات، ثم جاء دور ولد الولد في الثمانينيات.

الفصل الثاني

عرض وتحليل خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه

تمهيد:

كُتبتْ عن الإمام الشهيد رحمه ا كتب كثيرة. وهو يستحق ما هو أكثر، ولكنها قلما تعرضت للحياة الشخصية والخاصة له. والمرجع الوحيد والموثوق به هو ما كتبه الإمام الشهيد نفسه في (مذكرات الدعوة والداعية) الذي ألهمه ا أن يكتبه ليسد هذه الثغرة. ومع هذا فإن (الدعوة) فيه تزاحم (الداعية) وتزحمه، ويظل من حق الجمهور العريض أن يعلموا الكثير عن شخص هذا القائد الذي جدد الدعوة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري (والعشرين الميلادي) وأعطاها ما هي عليه من حيوية بعد أن كانت تتقوقع في الزوايا والتكايا، لا يحملها إلا الوعاظ والقصاص، ولا تعني إلا بالطقوس والشكليات.

ونعلم أن الإمام الشهيد رحمه ا كان قد خلف (يوميات) غير منشورة، لعل بعضها لا يزال باقيا لدى نجله الأستاذ أحمد سيف الإسلام، وإن كانت الأحداث التي أعقبت حل الأخوان في ديسمبر ١٩٤٨ وما أملاه الإرهاب من تصرفات، رآها أصحابها مما لا مناص عنه، قد ذهبت بكثير من أوراق الإمام. وقد قُدر لنا أن نطلع ـ بالصدفة ـ على بعض يومياته فوجدنا أنها كلها تدور حول رحلاته وما كان يلاقي فيها، إذ لم يكن من دأب الإمام الشهيد أن يكتب عن الخصوصيات، كما قد يرى البعض أنه لا يجمل بأحد أن يسعى للتعرف على الجوانب الخاصة في حياة الآخرين، وأنه قد يكون نوعا من الفضول المذموم.

ولكن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن الإسلام يفترض في قادته التأدب بآدابه، وأن كل تصرف يقومون به وبين أنفسهم، أو ما بينهم وخاصة أهلهم، يمكن أن يهدي الناس إلى التصرف السليم في هذا المجال. وإن هذا التصور إسلامي عريق وكان في أصل معرفتنا عن الكثير من الشئون الخاصة للرسول ﷺ فنحن نعلم أنه كان يحب عائشة ويعلن حبه لها، ونعلم ماذا كانت تقول له في ساعة الرضا وماذا

تقول في ساعة الغضب، ونعلم أن الرسول ﷺ كان يفسح لها فرصة رؤية الحبشة يلعبون حتى تمل هي، ونعلم أنه كان يثني ركبته لتصعد صفية عليها لتركب ناقتها، بل نعلم ما هو أخص من هذا ونعلم أن زوجاته كن يرين من واجبهن إعلان ذلك وأن المحدثين حملوا عنهن ذلك، ورووه لبقية الأجيال لإفادة المسلمين به، وليكون لهم في رسول ا أسوة حسنة.

فإذا كنا نتناول بعض جوانب الحياة الخاصة للإمام الشهيد، فذلك بفكرة إفادة جمهوره بها، ولجعلهم يتفهمون قائدهم، ويتعرفون على العوامل الخاصة التي أراد ا لها أن تكون معينة له في دعوته.

* * *

لعل أول ما يلفت الانتباه أن الإمام الشهيد رحمه ا أمضى طفولة سعيدة بفضل حب أبويه له، وجمال وسعة البيئة التي أمضى فيها هذه الطفولة، كان الإمام الشهيد هو الابن البكر لأبويه، والابن البكر يولد عادة والأبوان في مقتبل العمر وزهرة الشباب، ويكون ثمرة لأولى التجارب الجنسية، وما تصطخب به من انفعال وعرامة وحب، وما أن يولد حتى يصبح هو ثمرة هذه العاطفة والتجربة، ويستأثر

وحده بكل عواطف ومشاعر الأمومة والأبوة، دون أن ينافسه فيها ابن آخر، ويتمتع بكل ما فيها من حب وإعزاز، وبوجه خاص من الأم التي تمنحه كل صدرها طيلة عامين كاملين، يتحقق لها فيهما الإشباع العاطفي، فلا يحس عندما يكبر بنقص أو جوع، وتنعكس محبة الأبوين على نفسية الطفل، وتغرس فيه بذرة الرضا والثقة والاعتزاز والإقدام قدر ما تنفي التعقيد أو الإحباط. وقد تحدث فرويد عن هذه الظاهرة في الابن البكر، ونجد في الإمام الشهيد مصداقًا لها، إذ نجده بين أترابه الأطفال في ألعابهم في محل القائد أو الرئيس، ونجد والده يعتمد عليه في كثير من المهام التي يقوم بها بنشاط وكفاية ودون أي تذمر، كما ستوضح ذلك المجموعة الأولى من خطاباته، وكان من الأبيات المحببة إليه والتي تصور نفسيته بيت طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني

عنيت فلم أكسل، ولم أتبلدِ

ومن هذه النقطة ـ نقطة البداية تنشأ وتتوالى مجموعة من الملابسات، كلها تتسم بالتوفيق والاتساق، والسير في

الاتجاه الذي أراده الله له. وكان من مظاهر هذا أن تأخذ مشاعر الأب والأم نحوه صورة التكامل، وليس التعارض كما يحدث في كثير من الأسر، عندما يكون للأب رأي في مستقبل ابنه، يختلف عن رأي الأم، ففي حالة الإمام الشهيد نرى دور الأم يكمل دور الأب.

فقد أراد الوالد رحمه الله لبكره أن ينشأ نشأة إسلامية حقيقية، وأصر أولاً على أن يحفظ القرآن، واستكمل له الكثير من جوانب الثقافة الإسلامية، في هذه السن المبكرة، ثم عهد به إلى الشيخ محمد زهران الذي كان شيخه الأول وهو ـ كما قلنا ـ كفيف وهذه الحقيقة نفعت الابن، كما نفعت أباه من قبل، عندما تتلمذ في كُتاب شيخُه كفيف، ثم لما تتلمذ على يدي الشيخ زهران الكفيف أيضا.

وقد كانت أول نبذة في كتاب (مذكرات الدعوة والداعية) هي عن (مدرسة الرشاد الدينية) التي كان يعلم فيها الشيخ زهران أطفال المحمودية، وكيف أنه تعلم منه، وإن لم يدرك ذلك وقتئذٍ "أثر التجاوب الروحي والمشاركة العاطفية بين التلميذ والأستاذ" فهل هناك درس أنفع وأعمق من هذا الدرس لمن سيكون مدرسا؟ سواء للتلاميذ أو للجماهير.

وفي مدرسة الرشاد تعرف الطفل على عالم الكتب واطلع على (المكتبة) التي كانت أكبر من مكتبة أبيه ولعلها أكبر مكتبة في البلد ولم يكن هذا ليدخل في إطار الدراسة العادية للأطفال ولكن ا تعالى أراده للإمام، ورتب أسبابه تلك.

وفي المرحلة الدراسية اللاحقة نرى دور الأم يكمل دور الأب فقد تمسكت الوالدة رحمها ا بضرورة أن يستكمل ابنها تعليمه حتى أعلى مستوى، وعندما ضاقت موارد الأسرة باعت (كِرداڵها) الذهبي وفي مرحلة لاحقة ـ ولاستكمال التعليم أيضا باعت (سواريها) وكانت مضفرة ثقيلة من الذهب (البندقي) كما يقولون أي أنها من الذهب الخاص عيار ٢٤.

بهذه العاطفة القوية كانت الوالدة تحيط ابنها البكر، وقد حدثتني يوما كيف كانت تطوقه بقوة وهو طفل رضيع، عندما اضطرت لأن تعبر جسر (حلاق الجمل) وكيف كان خوفها الأكبر عليه لا عليها.

وكانت الوالدة حرمها ا تتصف بالعناد وقوة الشخصية، وقد ورث الإمام الشهيد كثيرا من صفاتها الخلقية

من الحاجبين المفروقين والعيون والأنف، ولم يشاركه في هذه الوراثة من أخوته سوى الشقيق عبد الباسط رحمه ا .. أما بقية أخوته فقد ورثوا وجههم عن أبيهم، وكان مقرون الحاجبين عالي الجبهة، ناتئ الوجنتين تختلف قصبة أنفه ومارنه عن أنف الوالدة. وكان الإمام الشهيد أقرب إلى القصر منه إلى الطول، وكانت تلك من صفات الولادة، أما الوالد فقد كان أقرب إلى الطول منه إلى القصر.

وكان من عناصر الطفولة السعيدة للإمام الشهيد أنه ولد في (المحمودية) حيث النيل أجمل وأوسع ما يكون وحيث الحقول، و"النجيل" والأراضي البور المتسعة الفسيحة التي سمحت له باللعب والجري، وممارسة وسائل من اللهو الجماعي التي لا تتسع لها شوارع المدينة أو أزقتها، فاستراحت عينا الطفل على النيل، وعلى السماء، فلم يصب بقصر النظر رغم مطالعاته، وأعان الهواء النقي والشمس الساطعة على أن تكون صحته حسنة، وأن لا تهاجمه أمراض كانت وقتئذ منتشرة وفاشية. كما نمتْ الألعاب الجامعية التي كان يمارسها الروح الاجتماعية له، وأبعدت عنه الصفة الانطوائية التي تعلَق بالأطفال الذين لا تسمح لهم

ظروفهم بالانطلاق، وممارسة الألعاب الجماعية بطريقة طبيعية غير متكلفة.

* * *

وعندما يجاوز الإمام الشهيد مرحلة الطفولة، ويبدأ الصبا فإن ملابسات التوفيق تتابعه، وكأنه ملاك حارس تقود خطوه في المسار المطلوب دون انحراف.. وهكذا يدخل الإمام الشهيد مدرسة المعلمين الأولية، وتحقق له هذه الخطوة عنصرين كانا لازمين: الأولى التجربة الصوفية.. والثانية أنها فتحت الباب أمام دخول دار العلوم.

فقد كان يمكن أن تكون مدرسة المعلمين بدمنهور كأي مدرسة أخرى دون المحوطات المعينة التي أحاطت بها فتفقد إضافتها، ولكنها في حالتنا كانت مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأولى، والتقى فيها بشيخها السيد عبد الوهاب الحصافي، وتلقى عنه الطريقة، واستفاد من الأساليب التربوية الصوفية، وأدب الطريقة ما أثر فيه وما استفاد منه. وقد خاض الإمام الشهيد رحمه ا التجربة الصوفية حتى أعماقها من تهجد وصيام وصمت وعزلة وزيارة الأولياء.. الخ. وكما أنهم في التحليل النفسي

يفترضون فيمن يمارسه أن يكون قد حلل نفسه أولاً حتى يستطيع تحليل نفوس الآخرين، فقد كان لا بد أن يعاني الإمام الشهيد هذه التجربة حتى يلم بها تماما ويضيفها إلى معارفه.

ومع أن الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ تأثر تأثرا عميقًا بالتجربة الصوفية إلا أن الصوفية لم تتملكه أو تستحوذ عليه تماما لأمرين:

الأمر الأول: أن توجيه والده ودراسته على يدي الشيخ زهران كانت سلفية، فأوجد هذا نوعا من التوازن حال دون أن ينزلق في متاهات التصوف، أو أن يلتزم بشارتها كطريق، ومن هنا رأيناه صوفيا صغيرا في الرابعة عشر من عمره، يرخي عذبة بين كتفيه، ويضع نعلين في قدميه، وقد كانت هذه رموز السلفية حينًا ما. وعندما أسس الإمام النواة الأولى للأخوان المسلمين كان ازدواج المعنى الصوفي بالحفاظ السلفي من عناصر التجديد والكمال التي لم تكن معروفة وقتئذٍ فقد كانت هناك هيئات صوفية دون أن تكون سلفية كمختلف الطرق الصوفية، أو سلفية دون أن تكون صوفية كالجمعية الشرعية والهيئات الوهابية. وكانت الأخوان سلفية الأطر صوفية العاطفة.

ولا يمكن الادعاء بأن الثقافة الإسلامية التي حصل عليها الإمام الشهيد في طفولته لم تكن تسمح له بهذا التأصيل، لأن هذه الثقافة مكنته من أن يعلم أن الصلاة بين السواري مكروهة، وهي قضية نسيها شيخه، وشيخ أبيه ـ الشيخ محمد زهران وأخذ يتقصاها عندما وصله تنبيه جمعية الأطفال التي كونها الإمام الشهيد مع أترابٍ له "انظر مذكرات الدعوة والداعية" وقد انتشرت بفعل ضحالة المستويات الثقافية، وأمية المجتمع اليوم ـ مقالة تستبعد أن يستوعب الأطفال مثل هذه الثقافة، والحقيقة أن الأطفال يكونون أكثر استعدادا من الرجال ـ لتلقي المعلومات واستيعابها. وما اكتسبه الإمام الشهيد رحمه ا فترة الطفولة كان له أثر بعيد، ليس فحسب على فترة التصوف، بل وما بعدها أيضا.

والأمر الثاني: أن شدة انغماسه في الشعائر العبادية والمجاهدات الصوفية لم يكن ـ بالكامل ـ صادرا عن إيمان بأن هذه الصورة المغرقة هي الصورة العادية أو الطبيعية في السلوك، ومن ثم يفترض أن تستمر وتمارس أبدا. إن جزءا من شدة الانهماك والانغماس يعود إلى فورة المراهقة التي

زودت صاحبها بطاقة إضافية، كان لابد من امتصاصها بهذه الأساليب والمجاهدات، بحيث لم تعد تزعجه، أو تلح عليه حتى اجتاز مرحلتها الحرجة. ولعل الإمام الشهيد رحمه ا طبق هذا الدرس على شباب الأخوان عندما كان يعهد إليهم بممارسات ومجاهدات وأعمال تستنزف الطاقة الإضافية التي تزودهم بها الغريزة في هذه السن، حتى ينتهي بهم إلى الزواج وبذلك يخلصون من التعرض للأزمات العاطفية، أو النزوات الجنسية [١].

* * *

وحدث وقتئذ حادث دل على أن الإمام الشهيد رحمه ا مسوق إلى قَدره، فبعد أن أتم الدراسة تبدى خيال دار العلوم، وعزمت مجموعة من زملائه على التقدم إليها، وفي الوقت نفسه عينه المجلس المحلي للبحيرة مدرسا في "خِرِيتا". وكان

---

(١) ولكن البعض أبدى ملاحظة أن هذا الأسلوب ـ وإن نجح في تحقيق غايته ـ فإنه تم على حساب حق الشباب، في قدر من الاستمتاع، وأن حرمانهم هذا عقد نفسيتهم إلى حد ما، كما أنه قد يجعل من الزواج نهاية للحماسة للدعوة.

" من لم يطببه الشباب فداؤه

حتى يغيبه بغير دواء (شوقي) "

كل شيء يوحي بقبول هذا التعيين، فهو يتيح له أن يكون معلما ويحقق له الاستقلال، وقد يمكنه من إعانة الأسرة ويبقيه قريبا من المحمودية وما حولها، كما كانت تتملكه وقتئذٍ مشاعر الزهد في المناصب والعزوف عن الشهادات، وأن الحرص عليها فيه شبهة الإقبال على الدنيا، والتمسك بمظاهر الجاه والثراء وهي حالة نفسية تتفق مع المشاعر والأحاسيس الصوفية التي انغمس فيها وقتئذٍ وبوجه خاص بعد قراءة "الإحياء" للغزالي والتأثر به، وكاد الإمام الشهيد رحمه ا أن يستسلم لمشاعره تلك، فلم يستذكر ما يؤهله للتقدم للقسم العالي بدار العلوم، لولا أن وضع ا في طريقه رجلاً كان التقدير متبادلاً بينهما واستطاع بلباقة أن يحمله على التقدم.

ومرة أخرى فإن دار العلوم وحدها هي التي كان يمكن أن تخرج الداعية الإسلامي المطلوب، لأن الدراسة الأزهرية لها طريقة متعسفة تقليدية محدودة، ودار العلوم هي الوحيدة التي تجعل دارسها متمكنًا في اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية، إلى جانب حظ غير قليل من علوم التاريخ والاجتماع.. الخ.

وهناك وقائع أخرى تؤكد ما ذهبنا إليه، من أن عناية ا
كانت تهيئ المسار للإمام الشهيد، فهذا القسم العالي لدار العلوم كان سيلغَى في العام التالي، ولو لم ينتهز الإمام الشهيد هذه الفرصة لاستحال عليه دخول دار العلوم، وصاحب الإمام الشهيد توفيق غير مألوف في الكشف الطبي والامتحان التحريري، وأخيرا فإنه عندما دخلها كان يجب أن ينجح بتفوق حتى يضمن التعيين، لأن الوزارة لم تعين من الناجحين إلا خمسة أو ستة؛ فعندما جاء ترتيبه الأول بين الناجحين فإنه ضمن التعيين، وقطع على (الوساطات) التي كان يمكن أن تؤخر توظيف الثالث أو الرابع.. الخ. فتحقق التعيين، وجاء هذا التعيين في الإسماعيلية التي لم يطلبها أو يستشعر نحوها عاطفة خاصة من حب أو كره، لأنها كانت هي المهد الأمثل لظهور دعوة الأخوان.

ويحدث أن تحكُم الظروف على الناس بأن يحترفوا مهنًا لا يحبونها، لأنها لا تتفق مع قابلياتهم وملكاتهم؛ فيشقون بهذا وتتشتت جهودهم ما بين هواية وحرفة،ولكن الإمام الشهيد رحمه ا أراد أن يكون معلما ومعلم (صبيان) على وجه التحديد، وتلك مهنة لم تكن الطُلْبة (بضم الطاء وسكون اللام)

التقليدية للطموحين من الفتيان الذين يجدون في (المحاماة) أو (الطب) أو (الهندسة) الطريق الموصل للمناصب العليا والثروة والشهرة. وكانت مهنة التدريس بالذات مهنة متعبة، وصور مثلٌ عربي جريرتها على شخصية المدرس. ولكن الإمام الشهيد رحمه ا كان يرى في التعليم سبيلاً للهداية التي حث عليها الإسلام، وأن تعليم الصغار تأهيل لتعليم الكبار، وهذا واضح تماما من موضوع الإنشاء الشهير الذي كتبه قبيل تخرجه ردا على سؤال (اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك.. وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها) وبلور فيه الإمام الشهيد رسالته العامة والخاصة؛ فحققت له دار العلوم ما أراد، فأصبح معلما وحقق له التعليم أيضا ما أراد، وقدم إليه خبرات ثمينة ساعدته في (تعليم الكبار)، واكتساب الجماهير، منها الأسلوب التربوي الذي أخذته الدعوة، ومنها القدرة الفائقة على تذكر الوجوه وحفظ الأسماء، وهي ملكة يمكن أن تكون من الملكات الشخصية له، ولكن لابد أن ممارسة التعليم في الفصول قد نمتها وعمقتها.

وبالإضافة إلى هذا الدور العام للإسماعيلية فإنها كانت هي التي قدمت للإمام الشهيد الزوجة الملائمة تماما لظروفه

ودعوته، وهي واقعة ـ وإن كانت خاصة ـ ولكن لها انعكاساتها على شخص الداعية وبالتالي على الدعوة.

وكانت الزوجة التي وقع عليها اختيار الوالدة رحمها ا (وهي بالمناسبة الوحيدة التي اختارتها الوالدة. أما زوجات بقية أبنائها فلم يكن لها دور في ترشيحهن) شابة مديدة القامة، بيضاء البشرة، ذات طبيعة طيبة وفطرة مستقيمة، وعلى جانب كبير من الخفر والحياء، وكانت تعلم أنها تتزوج داعية تتحكم فيه ظروف الدعوة، ولا تدع له ـ أو لها ـ حريةً أو خيارا.. فكيفت نفسها طبقًا لذلك وحققت لزوجها الاستقرار العاطفي الذي مكنه من أن ينطلق لدعوته محصنًا من فتنة النساء ـ وما أكثر ما اعترضت طريق الدعاة ـ دون أن تهاجمه نوازع الشهوات، أو تعكر صفوه مشاغبات الزوجات. ولربما قيل أن الإمام الشهيد رحمه ا كان يمكن أن يجد زوجة أكثر جمالاً ومالاً وثقافةً في غير الإسماعيلية أو حتى في الإسماعيلية نفسها (كانت بالفعل موجودة) ولكن ما يعد ميزة بالنسبة لآحاد الناس قد لا يكون كذلك للقادة والدعاة؛ فلو كانت الزوجة ملكة جمال لكان لهذا أثره في استحوازها على زوجها، وهو أمر لا تتسع له الدعوة التي لا

ينتطح فيها عنزان، ولو كانت أكثر مالاً لساندت الدعوة. وقد كانت أسرة زوجة الإمام ميسورة الحال وساندته في بعض المناسبات، ولكن من الخير دائما للدعوات أن تعتمد على نفسها، وأن تتحمل فاقتها، وأن تعتمد على جيوب أعضائها، وليس على المعونات كائنةً ما كانت، أما الثقافة، فما كان الفهم التقليدي في الدوائر الإسلامية لدور المرأة ليسمح بنشاط يمكن أن تقوم به في مجال الدعوة ولو دفعتها ثقافتها الرفيعة لأن تقوم بدور بارز في الدعوة، لفتحت ثغرة يمكن أن تؤتَى منها الدعوة. كانت الاشتراطات المثلى في زوجةِ الداعية الإسلامي هي ما افترضه الرسول "إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته". وهذا ما تحقق في الزوجة التي قدمتها الإسماعيلية للإمام الشهيد.

ولعلنا لا نجاوز الحقيقة، إذا قلنا أن عنصر التوفيق، ذلك النجم الهادي والملاك الحارس للإمام الشهيد في مسيرته كان وراء كل أحداث حياته منذ الميلاد، ولم يتخل عنه حتى النهاية المأساوية، التي لم تكن نهاية حياته، قدر ما كنت قمة كفاحه، وذروة رسالته. إن (الشهادة) هي أسمى ما يمكن أن يطمح إليه المؤمن، وقد حفظ لنا تاريخ بعض الأئمة ما قالوه

لأبنائهم؛ عندما جاءهم رسول السلطان ليبطش بهم (ماذا بقاء أبيك في هذه الحياة بعد أن بلغ كذا من العمر) أو (أن أباك أهون من أن يقتل في سبيل ا)، وكانت الصيغة التي صور فيها الإمام الشهيد أسمى أماني الأخوان (الموت في سبيل ا أسمى أمانيا). وقد حقق ا تعالى له أسمى الأماني فأصبح "الإمام الشهيد" وكُللت دعوته بأكاليل الشهادة، وأصبحت دعوة قدستها دماؤه بعد أن عمقتها جهوده، وانطبق عليه وعليها الأثر (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم).

الخطابات:

كان الشيخ الوالد رحمه ا يحتفظ بخطابات ابنه بصورة حسنة، ومنتظمة وبهيئة تصونها. وكان عادة يحفظ كل خطاب في ظرفه، وقد يكتب على الظرف وصل يوم كذا. ولكنها تعرضت عندما عبثت الأيدي بأوراق الشيخ لصور من التلف فنالت الرطوبة منها، وأكلت الأرضة أطراف بعضها، بينما بهتت خطوط بعضها الآخر، وظلت البقية لحسن الحظ ـ في حالة حسنة.

وقد قسمنا هذه الخطابات هنا إلى ثلاث مجموعات حسب تاريخ ورودها، فالمجموعة الأولى سنطلق عليها مجموعة (العطف) لأنها أرسلت من العطف عامي ٢٦ و ٢٧. والمجموعة الثانية مجموعة (الإسماعيلية) وهي تغطي الثلاثينيات. والمجموعة الأخيرة وهي في (الأربعينيات)، وهي لا تدخل بدقة في رسائل حسن البنا (الشاب)، ولكننا أوردناها بالإضافة إلى أهميتها الذاتية لإثبات عنصر كان هو محور ترجمتنا لحياة الإمام الشهيد، وهو (الاستمرارية)؛ فنحن عند مقارنة آخر خطاب بأول خطاب ـ وبينهما قرابة عشرين عاما ـ لا نجد فرقًا في الخط أو طريقة الكتابة أو أسلوب الخطاب.

وقد وجدنا بين أوراق الشيخ بعض وثائق أخرى تتعلق بالإمام الشهيد أثبتناها، مثل استقالته من خدمة وزارة المعارف، ونقله من مدرسة إلى أخرى.. الخ.

المجموعة الأولى مجموعة العطف

جاءت هذه الرسائل وعددها ثمانية من العطف. وأولها بتاريخ ٣ يناير ٢٦. وآخرها في ٦ أغسطس ٢٧. ويبدو أن الإمام الشهيد أمضى هذه الفترة أو معظمها في المنطقة، وأنه خلالها زار كل النواحي المجاورة التي بها الأقرباء؛ مثل (مرقص) بلد خالتنا مريم رحمها ا ، ومثل "شمشيرة" حيث الأهل، و"سنديون" وهي بلد أخوال الوالدة آل سيد أحمد، و"ديروط" وغيرها.

وكان الوالد رحمه ا يخص ابنه البكر بقضاء العديد من المصالح، وتسوية بعض المشكلات بالبلد، بعد أن مضى على انتقاله إلى القاهرة قرابة عامين. وقد ظل الوالد رحمه ا يكلف الإمام الشهيد بمثل هذه المهام حتى مرحلة متأخرة عن مجموعة العطف ـ وقد عثرنا بين أوراق الوالد على صورة خطاب إلى ابنه مؤرخ ٢ جمادى ١٣٥٢ (أي ٢٣ أغسطس ١٩٣٣) بعدد من التكليفات ليقضيها: "وأنت بالمحمودية لأهميتها ولفرصة وجودك بها". وهي لا تختلف كثيرا عما كان يقوم بها عامي ٢٦. ٢٧ لأنها تتعلق بعوايد

البيت وكان عليه ـ كما كلفه الشيخ الوالد: "أن تقابل أُولِى الشأن في مسألة العوايد بالبلد وتُفَهمهم أن قانون تحصيل العوائد في المراكز والمديريات والعواصم هو باعتبار المائة عشرة من الإيجار، فتكون عوائد منزلنا ستين قرشًا، والغفر باعتبار المائة عشرين من العوائد عليها تكون اثنا عشر قرشًا، تضاف على العوائد فيكون مجموع الخفر والعوائد ٧٢ قرشًا، مع أنهم يحصلون على ١١٣ قرشًا، فهذا ظلم فادح ومخالف للقانون. نرجع إلى الدكان إيجاره عشرون قرشًا فتكون العوائد ٢٤قرشًا، يضاف إليها الخفر أربعة قروش وثمانية مليمات باعتبار المائة عشرين من العوائد فيكون مجموع عوائد وخفر الدكان ٢٨ قرشًا وثمان مليمات فلماذا يحصلون على ٤٢ قرشًا.. الخ...".

وجاء بهذا الخطاب "أرسلت اليوم بأصول ترجمة زيد بن ثابت إلى محب الدين أفندي" [١].

---

(١) يغلب أن يكون هو الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة "الفتح".

نقول إن هذه التكليفات التي كلف بها الإمام الشهيد عام ٣٣ تقارب إلى حد ما التكليفات التي كان عليه أن يقوم بها عامي ٢٦ و ٢٧.

وفي أولى الخطابات التي أرسلها من العطف يقول.

سيدي الوالد الجليل:

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته (وبعد) وصلت العطف بسلامة ا ، بعد أن صليت الجمعة، بدمنهور وتغديت مع الشيخ شريف بمنزلهم.

وكل جميع أهل العطف يهدونكم أزكى السلام وقد قابلنا جم غفير منهم بقوله (أهلا حسن أفندي) فأفهمتهم الحقيقة، وانتهت وا بفضح كلاب دار العلوم اللي طلعوا الصيت ده.

ربما سافرت غدا (الأحد) إلى شمشميرة للمهمة، أما اليوم فإني منتظر خالتي بالمحمودية. السمن لم يجهز بعد، مع أن عم مليجي مخْبر بالأمر من يومها، ولا أدري ماذا ترون، وسأشتري سمن شَرف غدا إن شاء ا ودمتم).

٣٠ يناير سنة ١٩٢٦

وهذا الخطاب يتضمن إشارة إلى تغيير الزي بدار العلوم من الجبة والعمامة إلى الطربوش والبدلة.. وكان

الإمام الشهيد رحمه ا هو وزميل له، آخر اثنين خلعا زيهما القديم، بعد أن أقنعهما ناظر المدرسة، وهو الأستاذ محمد بك السيد، بأن عليهما أن يكونا كبقية زملائهم، حتى لا يظهروا أمام الطلبة بمظهر المنقسمين. وقد أشار الإمام الشهيد إلى هذه الوقعة في فقرة من كتاب مذكرات الدعوة والداعية تحت عنوان (تغيير الزي) وختم الفقرة: "ورغم أن كلمته الطيبة (أي الناظر) لم تكن تحمل معنى الإلزام، إلا أن قوة تأثيره واحترامنا لرأيه جعلنا نعِده بذلك. وننفذ وعدنا فنرتدي البدلة والطربوش بدلاً من الجبة والعمامة، وذلك قبيل أن نتخرج بقليل".

وكما أشرنا آنفًا فإن مقارنة هذا الخطاب الذي كتب في إحدى القرى بقلم (كوبيا) وفي ٣٠ يناير ٢٦ بآخر خطاباته بعد عشرين عاما يوضح وحدة الخط والطريقة والأسلوب.

أما بقية الخطابات فكلها عن شئون عائلية خالصة، مثل مقابلة خالاته في شمشيرة ومرقص وأبناء خال أمه في سنديون وعملية شراء السمن (الأقة بريال) واستخلاص الديون لإعطائها لدائنين. وقد كان المدينون مستأجري البيت والدكاكين، ولم يدفع مستأجر البيت ما عليه إلا بعد رفع

قضية. أما (باشا) فلم يستطع الإمام الشهيد أن يحصل منه "ولا على مليم" لأنه على عكس ما يوحي به اسمه "في أزمة شديدة ككل الفلاحين وأنهم يستلفون الجنيه بـ ١٢٠ لتخليص أجر أنفار نقاوة الرز"، ويغلب أن يكون (باشا) أحد مستأجري أرض الوالدة لأنهم يزرعون الأرز في شمشيرة.

وفي مقابل هذا فنحن نقرأ: "بدرة خَيِلتِْني على فلوسها". وما من تعبير كهذا يصور حاجة هذه المسكينة بدرة التي كانت ـ رغم تلك البأساء لها أطماعها لأنها: "أخبرتنا أنها تريد شراء أرض وعمل كشك وحماتها متعاركة معها وهكذا وسأفيدكم بما يتم" ... واقتران البأساء بالأمل هو من ظواهر الريف المصري وهي التي تمسك الفلاح وتبقي عليه وإلا لمات قهرا ويأسا.

وفي أحد هذه الخطابات نقرأ: "عدت إلى سنديون وقابلت الشيخ سيد أحمد، وقضيت أول ليلة، ولم أتمكن من النوم إلا بعد الفجر تقريبا لتقاطر الناس. ثم أردت الاستئذان صباحا فلم أتمكن. وهكذا مكثت في دوشة بسنديون يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ولم أتمكن من السفر إلا بعد

جهد" .. فالبأساء والأزمة لم تمنع سنديون من أن تحتفي بأحد أفراد أسرتها النابهة، وأن تحتجزه ثلاثة أيام كاملة.

وفي خطاب بتاريخ ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٦ يخطر الوالد بأن: "السنوسي" مستأجر البيت دفع ما عليه "جنيهان" وأنه دفع منها ١٦٠ قرشًا العوايد. وأن النقود الموجودة معه هي ١١٠ والمطلوب ١٧٠ للصعيدي و ٦٠ على الأقل للسفر، ٢٠ عادم، وفوق ذلك فعم عبده مشدد في الخمسين قرشًا بتوعه، وسأدبر الموضوع بحول ا وإرشاده.

أسفت للشيخ بشر وا تعالى يسهل له ما فيه الخير، أما سيدي الشيخ عبد الرحمن أحمد فتذكرت الآن أن لي به سابقة معرفة بمنزل فريد بك وجدي، وهو أخو الشيخ شاكر، وليس شقيقه، وكنت أعرفه باسم الشيخ عبد الرحمن شاكر والحمد الذي ربط النفوس ".

والفقرة الأخيرة من هذا الخطاب تدل على أن الإمام الشهيد كان قد تعرف بالأستاذ فريد وجدي رحمه ا ، وأنه كان يزوره وتعرف عنده ببعض آل شاكر، قبل أن يتخرج من دار العلوم.

وفي الخطاب الأخير: ".. وأما السمن وحضوري ففي الغالب سيكون حوالي ١٥ أغسطس، وقد عزمت على عدم المعالجة هذه المرة لعدم وجود النقود، فأني الآن متحير أشد الحيرة في نقود حضوري وثمن السمن، فكيف أتمكن من الإتيان بغيرها، ويفعل ا ما يشاء، وإني في العطف قد يمضي علي الأسبوع أو الأكثر وليس في جيبي مليما، وقد بلغت مصروفات مشوار سنديون وشمشيرة الكل أربعة قروش صاغ كانت هي كل ما معي".

وفي الخطاب أكثر من إشارة إلى موضوع تعيين الخريجين، وتأكيد من الجميع أنه سيعين بحكم كونه الأول سواء بلغ من سيعين خمسة أو سبعة أو عشرة، ويعقب هو على ذلك: (هذه كلها بشر متوالية والأمر الواحد القهار).

ويختم الخطاب: "والفهرس لابد من إتمام نقله فاطمئنوا وسلامي إلى الشيخ شرف (لابد أنه صاحب السمن) والشيخ علي علام أفندي، وهكذا الدنيا عناء وشغل يتلوه شغل، ما يكاد المرء يفرغ من واحد منها حتى يقع في الآخر، ونسأل ا سبحانه أن يأخذ بأيدينا إلى طريق البر والرشاد، إنه الملجأ والمعين ونعم المولى ونعم المصير"..

ويبدو أن هذا الخطاب هو الأخير في مجموعة العطف، لأنه بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ وقد أعقبه تعيينه في الإسماعيلية، وسفره إليها، والحقيقة أنه تضمن إشارة هامة (تسلمت مع خطابكم يوم ٦ أغسطس خطابا من مجلس مديرية البحيرة يدعونني إلى الكشف الطبي يوم الخميس ١١ أغسطس، وداخل المظروف استمارة خلو طرفي من الخدمة، وثانية تثبت الجنسية وحسن السير والسلوك، يراد ملأها وإمضاء العمدة والمشايخ والمأمور عليها. ويظهر أن المجلس ما صدق إنه استلم الطلب، وأنا الآن متحير أأذهب إلى الكشف الطبي وأملأ الاستمارتين أم أؤخر الكشف؟ يدفعني إلى الأول أني أريد تتميم الإجراءات الرسمية بالمجلس هنا قبل حضوري إلى مصر، حتى لا يستدعي الأمر عودتي ثانية، على فرض أن الوزارة امتنعت. ويمنعني عن إنفاذه خوفي من غدر المجلس إذا تمت الإجراءات، إذ ربما أرسل إلى الوزارة (.. مساحة أكلتها الأرضة..) فتتركني، وفي الغالب سأؤخر هذه الإجراءات الآن).. ويبدو أن هذا هو ما فعله، وأنه عندما عاد إلى القاهرة وجد أمر الوزارة بتعيينه، ومن ثم سافر إلى الإسماعيلية..

وتعرض الخطابات صورة للريف المصري في إحدى فترات بأسائه وهمومه، وما تثيره الفاقة والحاجة من إلحاف ومماطلة وحيرة، ما بين المطلوب والموجود، وقيمة النقود وندرتها، وأن لكل قرش أهمية. وثمة خطاب وجدناه بين أوراق الشيخ من موظف بالمجلس القروي، مرسل إلى الشيخ أحمد الطباخ الذي كان وكيل الشيخ في المحمودية يقول: "مطلوب من الشيخ أحمد الساعاتي مبلغ عشرون مليما كمالة رسوم رخصة التنظيم، فإذا سمحت بالسداد أرجو تسليمه لدافعه لإمكان استخراج الرخصة".

المجموعة الثانية الإسماعيلية

تمثل مجموعة الإسماعيلية الجزء الأكبر من خطابات الإمام الشهيد إلى أبيه.. وهذا طبيعي لأنها تمثل المرة الأولى لاغترابه عن القاهرة كموظف، في بلد جديد تماما عليه وعلى أبيه. ونفترض أن مراسلات عديدة جرت من اليوم التالي لوصول الإمام الشهيد إلى الإسماعيلية، وأن هذه المراسلات استمرت معظم إقامته بالإسماعيلية، لأن العلاقة ما بين الإمام الشهيد ووالده كانت وثيقة عاطفيا وعائليا خاصة بعد بدء الإمام الشهيد في القيام بدور في تحمل الأعباء العائلية فضلاً عن بدايات الدعوة وما أثارته من رغبة في إعلام والده بتطورها.

ولكننا لم نجد في أوراق الشيخ ما يغطي المدة من تعيينه في سبتمبر سنة ١٩٢٧ حتى أول خطاب عثرنا عليه في ٧ مارس سنة ١٩٢٨ ، وهي خسارة فادحة لأنه كان من الممكن أن نطلع على (بدايات البداية) في الدعوة..

أيام الإسماعيلية:

كانت أيام الإسماعيلية حقبة حافلة بالأمل والنشاط والحماسة. وفي كل الخطابات باستثناء الخطاب الثالث منها نلمس نبرة الأمل والاستبشار والثقة في المستقبل، ونجد في كل خطاب تقريبا الإشارة إلى أن صحته على أفضل ما يرام، وأنه يعمل بهمة، وأنه ينام مطمئنًا نوما عميقًا، وكل شيء ينبئ بالإقبال الذي وقف الإمام الشهيد على بابه.. وبدأ منه أولى خطواته.

وقد نال الإمام الشهيد احترام وتقدير كل أهل الإسماعيلية تقريبا لأنه كان نمطًا جديدا عليهم، فلم يكن شيخًا كمألوف الشيوخ، ولم يكن موظفًا مدنيا كبقية الموظفين، ولعلهم تنسموا فيه إرهاصات القائد فأقبلوا عليه.

كما ظفر بتقدير "مجتمع المدرسة" بدءا من الناظر فالمدرسين، لانضباطه وكفايته كمعلم، وإحكامه لمادته وسعة إطلاعه وثقافته، مما جعلته مدرسا نموذجيا، وإن كانت اهتماماته الإسلامية قد أثارت الهواجس في نفس الناظر، كما سنعلم.

ولم يقتصر تقدير أهل الإسماعيلية على شخصه، بل إنه امتد إلى كل أفراد الأسرة الذين استقدمهم الإمام الشهيد بدءا من الوالد حتى (جمال) أصغر أفراد الأسرة والذي سيستقدمه الإمام الشهيد ليكون تلميذًا بالسنة الأولى في المدرسة التي يدرس فيها.

وقد وجدنا بين أوراق الشيخ صورة خطاب، أرسله من الإسماعيلية إلى الشقيق محمد بالقاهرة بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٢٩ جاء فيه:

(ولدي العزيز محمد، السلام عليك ورحمته وبركاته وعلى أخيك عبد الرحمن وباقي الأسرة،.. وبعد فقد أبرقت لكم اليوم، بحضوري باكر السبت الساعة ٤ مساء، وذلك لما ضاق صدري من كثرة عزومات أهالي الإسماعيلية، وإني حاضر إن شاء ا في الميعاد المذكور، وعسى أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة والهناء والسرور، وأنا ما تأخرت هذا التأخير إلا قهرا مني، وحفظًا لمركزٍ حسنٍ مع الناس. ولولا ذلك لكادت تحصل خصومة شديدة بين الناس بسببي. والحمد أرضينا البعض. المهم عبد الباسط وحسن بغاية الصحة التامة والسرور..)

وهذا الخطاب يصور مدى تقدير أهالي الإسماعيلية للإمام الشهيد ووالده.

وفي خطاب بدون تاريخ من الإمام الشهيد للوالد يقول: "ومن الغريب أن أهل البلد عرفوا جمال وعبد الباسط، وكلهم يحبونهما ويكرمونهما ويحترمونهما كل احترام أينما سارا أو جلسا".

وفي خطاب آخر.. :

"جمال الدين مسرور من المدرسة، والمدرسون مسرورون به جدا، فاطمئنوا من هذه الناحية".

ولما كان قد مضى أكثر من ستين عاما على هذه الأيام، ولم أكن من ذوي الذاكرة القوية، فلست أذكر إلا القليل عن أيام الإسماعيلية التي أمضيت فيها قرابة عام. وأذكر أن الشقة كانت صحية تغمرها الشمس والهواء والنور. كما أذكر صورة باهتة جدا للجمعية التعاونية التي كانت رائدة للسوبر ماركت، مما لم يكن لنا بها عهد، ولم تكن موجودة في معظم أحياء القاهرة وقتئذ. وأذكر أن الإمام الشهيد رحمه ا كان يعد لنا إفطارا أبرز مكوناته (سندوتش من ربع رغيف

بالمربة) ولا أذكر أنني أكلت في الإسماعيلية (فول مدمس) فلم يكن منتشرا في الإسماعيلية وقتئذٍ ..

وأذكر أيضا صورة باهتة للمدرسة، وكانت لها شرفات فسيحة صفراء اللون، تقوم على قوائم خشبية، وحجرات الدرس بلوحاتها المصورة المعلقة على الجدران، وكان بصري يسرح بعيدا عن حجرة الدرس في الفضاء الممتد والشمس والصحراء والأشجار..

ومن أبرز ما يعلق بالذهن عن أيام الإسماعيلية كثرة الزيارات المسائية، والضيوف الذين كانوا يتقاطرون على الشقة، ولا يزال حتى الآن ـ على ذاكرتي الضعيفة ـ يرن في أذني صوت الإمام الشهيد ـ في إحدى الأمسيات وقد أخذ الكرى بمعاقد أجفاني ـ وهو يستقبل زائريه " مرحبا مرحبا مرحبا "

وكثيرا ما كان هؤلاء الضيوف يتناولون عشاءهم بالشقة، ويأتون على ما كانت تُمتَلأ به رفوف المطبخ من جبن ومربة وعمل وشاي وسكر وخبز، فإذا أصبح الصباح لم نجد شيئًا، وكان هذا يثير ثائرة الوالدة رحمها ا عندما كانت في الإسماعيلية.

وتكاد خطابات الإسماعيلية كلها تدور حول أمرين رئيسيين؛ أولهما أخبار عن الدعوة في الإسماعيلية وتطورها. وعلى نقيض ما قد يتصور البعض، فإن المرحلة الأولى للدعوة في الإسماعيلية تعرضت لكثير من المؤامرات والمقاومات، وتطلعات المنافسين، مما شغل جزءا كبيرا في (مذكرات الدعوة والداعية)، وتضمنت بعض الخطابات إشارات إليها.. والأمر الثاني الشئون العائلية، وهذه كانت تنقسم إلى قسمين: الأول أخبار عنايته بأفراد الأسرة الذين استقدمهم، وكانوا أشقاءه محمد وعبد الباسط وفاطمة وجمال. والثاني بيانات عن توزيع المرتب، وردا على مطالبات الوالد رحمه ا . وهي تصور القدر الكبير لمشاركته في مساعدة والده على القيام بشئون الأسرة في تلك الفترة التي كانت امتدادا لفترة البأساء التي أحاطت بالمجتمع المصري أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، وتعرضت لها الأسرة المهاجرة من مهدها بالعطَف إلى المدينة القاسية.

والخطاب الأول بين أيدينا من الإسماعيلية بتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٢٨.

وجاء فيه بعد الديباجة: "مع هذا حوالة بمبلغ جنيهين قيمة المطلوب لأم مصطفى، فقد كنت أريد أن أبعث بجنيه بدلة عبد الباسط، لولا أنه لم يبق معي إلا مصروفات السفر فقد دفعت جنيهين من الأربعة المدخرة للتوفير قيمة اشتراك مع الأخوان في مصروفات المنزل عن مارس، وقد كنت أريد جعله مؤخرا لولا أن نقودهم فرغت فدفعت نصيبي مثلهم مقدما. وهذان الجنيهان الباقيان، وبقى معي مصروف سفري فقط.

وتقبلوا تحيتي وشوقي، وسأطلعكم على مصروفات فبراير ومارس تفصيلاً عند حضوري والسلام".

من هذا الخطاب نعلم أن الإمام الشهيد كان يرى لوالده حقًا في التعرف على إنفاقه لمرتبه، ولم يكن ليرى في هذا غضاضةً أو ضيرا..

وفي ٢٩ سبتمبر كتب يقول ـ بعد الديباجة:

(اليوم أول العام الدراسي الجديد. وأنا أستقبله بنشاط وسرور وجودة صحة. عبد الباسط تم قيده هنا وطبعا سوف

لا تقبله (المحمدية) [1] ونريد أن يدرك العام من أوله. وخاطبني الناظر في هذا؛ فبمجرد وصول هذا إليكم يتجهز بأدواته وكتبه وملابسه، وبعض الحاجيات التي لابد له منها، ويحضر وحده بقطار الساعة ٦ وسأنتظره على المحطة، أما فاطمة وجمال فأرى أن يكون حضورهما مع عبد الرحمن، حتى يتريض عقب الامتحان بمنتزهات الإسماعيلية. أما بدلة عبد الباسط فسأشتريها له من هنا، وكذلك ما يحتاجه واقطعوا له نصف تذكرة، وإن بدا لكم رأي آخر فِيدوني به وتقبلوا فائق تحياتي وإجلالي).

ويتلو هذا الخطاب خطاب آخر مؤرخ في ٥ أكتوبر ١٩٢٨ . وهو الخطاب الوحيد من خطابات الإسماعيلية بل كل الخطابات التي بين أيدينا الذي يتسم بكآبة وانقباض، على نقيض المألوف في خطاباته التي تزخر بالأمل والاستبشار، ويبدو أن من بين أسباب ذلك عدم نجاح الشقيق عبد الرحمن في أحد الامتحانات، وهو أمر لم يكن مألوفًا وقتئذ ٍفي الأسرة، ولكن لا شك في أن هناك أسبابا أعم، لأن الخطاب

---

(١) مدرسة المحمدية الابتدائية بالقاهرة. وكان من المفروض أن ينتظم فيها الشقيق عبد الباسط وقتئذٍ.

يبدأ..بـ (سيدي الوالد الجليل سلام ا عليكم ورحمته وبركاته، وبعد،،.. فيخيل إلي أن العالم كله أصبح اليوم بؤسا وشقاء، وأننا على ما بنا خير من كثير، بين يدي الآن خطابات لأصدقاء إبراهيم البنهاوي ويرسلونها إليه تفيض بمر الشكوى والعذر وتنضح بحميم الحاجة والفاقة، فحمدا لك اللهم حمدا)، ويقترح بعد ذلك أن يحضر الشقيق عبد الرحمن إلى الإسماعيلية ليقضي فيها أسبوعا يرتاح فيها من عناء المرض والامتحان، ثم يعود إلى مدرسته: (ولي معه كلام إذا حضر ـ سيدي الوالد ـ أرسلت إليكم خطابات، وطلبت إليكم فيه الرد مستعجلاً، وإلى الآن لم يحضر منكم شيء، ولعل تأثركم بقلة المرسل جعلكم تضنون بالرد، وأرجو أن لا يكون ذلك حقًا فإنه مما يأخذ من نفسي كثيرا. أما إن كان هناك شيء آخر يمنع فلعله زال وتوافوني بما أردت)..

لا أدري موقفكم إزاء إرسال الأولاد، في إرسالهم مصلحة لي، فإنه سيوفرون كثيرا من النفقات الذاهبة هباء منثورا، وسينظمون أوقاتي، ويريحونني من عناء كبير، ومصلحة لهم هي تدريبهم وتهذيبهم وتربيتهم تربية أراها راقية جيدا، تحجزهم عن أولاد الشوارع وعطلة السبل، وإذن

يكون إرسالهم من صالح الطرفين، فلعلكم تقدرون ذلك، وتتصفوا في إحضارهم في أقرب وقت ممكن، ولو بدرجة وصول هذا إليكم)..

وهذه الفقرات توضح كيف كان الإمام الشهيد رحمه ا يرى نفسه مسئولاً عن أشقائه، من أكبرهم لأصغرهم، وفي الوقت نفسه فإنه مثال الابن الحريص على طاعة والده، وأن يظفر برضائه دائما.

ويختم الخطاب بفقرة تعبر عن نبرة الأسى في مقدمته:

(تعب كلُها الحياةُ يا سيدي الوالد. فعلينا أن نتمسك بعروة الصبر، ونمت إلى الرضى عن ا ، وبا بسبب قوي" "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ".

تلك أزمات أظنها سوف لا تتجاوز هذا الشهر وا الميسر والمعين)..

وفي ١٩/ ١٢/ ٢٨ أرسل خطابا يقول فيه:

(سيدي الوالد الجليل

سلام عليكم ورحمته وبركاته، وبعد،،... فقد ورد خطابكم. وطاعةً لكم فقد عزمت السيدة الوالدة على الحضور

إليكم غدا الخميس بالقطار الذي يصل الساعة ٤ بعد الظهر، فليكن ذلك معلوما لمقابلتها.

أما الرحلة فقد أنتجت نتاجا حسنًا بالنسبة لصلتي مع الناظر، وقد كانت مصادفات نتج عنها تقدير الرجل، فمن ذلك أنه بعد الغداء قام خطيبان من مدرسة بور سعيد يحييانني، وكان الناظر تجاهي ولم يكن أحدنا محضرا شيئًا فنظر إلي برأسه كالمستفهم، فنظرت إليه مطمئنًا وقُمت بعدها فارتجلت كلمة، كان لها وقع جميل جدا في نفوس الجميع. ومن الطرائف أن أحد المحامين الأهليين كان حاضرا ونسيت عند الخطبة، فقمت وعلى صدري فوطة الطعام، فقال ذلك المحامي (نزل الفوطة أولاً) فضحك القوم، ولكنني رددت عليه توا بقولي: (لعلها مقصودة أن أقول ومعي شاهد إثبات على كرم الزملاء ،أفضالهم فلا يتوجه إلى دفع الأستاذ) فكانت هذه أظرف من الأولى، وكذلك طلب إلي أن أتكلم في الثورة الفرنساوية بمناسبة رواية سينمائية، فشرحتها بأيضاح وبسط أدهشا الأخوان المتخصصين في التاريخ، وكان الناظر في كل ذلك يتيه سرورا وقدرتُه هو، ومدحته غيابيا فبلغه ذلك فسر كثيرا وبا التوفيق.. ".

ويكشف الخطاب عن سرعة البديهة التي اتصف بها الإمام الشهيد رحمه ا ، كما يكشف عن سعة اطلاعه، وتنوع ثقافته التي ينم عنها معرفته بتعبيرات المحامين، والتي مكنَتْه من أن يتحدث (بأيضاح وبسط أدهشا الأخوان المتخصصين) عن الثورة الفرنسية عندما فوجئ بهذا الطلب. ويمكننا أن نضيف من ملاحظاتنا الخاصة أن الإمام الشهيد رحمه ا كان بالفعل قد وسع إطار ثقافاته الاجتماعية والسياسية، وقد كانت فترة (دار العلوم) هي فترة الثقافة المدنية في حياة الإمام الشهيد، بعد أن أحكم أساسيات الثقافة الإسلامية في فترة الطفولة والصبا، ولا يعني هذا بالطبع أنه لم يواصل الدراسات الإسلامية؛ فإنه لم ينقطع عنها أبدا ولكن معناه أنه لم يقتصر عليها، بل أضاف إليها هذه الثقافات الجديدة [1].

---

(1) لم يكن الإمام الشهيد رحمه ا يلم بلغة أجنبية، ولكنه كان واسع الإطلاع على الترجمات العربية للآداب والعلوم الأوروبية. وأذكر أني اقترحت عليه يوما، وكنت قد بدأت مسيرتي الطويلة مع اللغة الإنجليزية، أن يتعلم الإنجليزية، ولعل ذلك كان في أحد أيام رمضان. وكان كل يوم يتلو علي جزءا من أجزاء القرآن، بينما ُأمسك بالمصحف، وكان حافظًا مجيدا، ولكنه كان يتوقف دائما للتثبت عند

وهناك خطاب قد تهرأ وتمزقت أطرافه وأوصاله، وزحفت عليه الرطوبة، بدون تاريخ، ولكن يبدو أنه أرسل بعد الخطاب السابق، لأن فيه إشارة إلى زيادة مدرسي بور سعيد، ردا على الزيارة السابقة وسنحاول استخلاص ما يمكن استخلاصه مما أفسده الدهر.

بسم ا الرحمن الرحيم

والحمد والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

بعض المتشابهات " أنجينا " أو " نجينا " و " أنْزل " أو " نزل ".

وبالنسبة للاقتراح الذي أبديته أذكر أنه أطرق هنيهة ثم قال: " نحفظ سورة أحسن". وأعتقد أن ا تعالى قد اختار له الخبرة في هذه النقطة، كما اختارها له في غيرها، فحقًا أن إحكام لغة أجنبية يكاد يكون شرطًا لاستكمال الثقافة. ولكن الإيمان بالدعوة وأحكامها والتعمق مع قدر من الإلمام والإحاطة بالثقافات الأخرى وطرق ترجماتها قد يكون أفضل من توزيع الطاقة على توسيع المعرفة. إن التركيز على الدعوة هو الأولوية الأولى للداعية، وإذا كان في مثل ذكاء ومرونة وإطلاع وتكامل الإمام الشهيد رحمه ا فإنه يستطيع أن يستكمل النواقص ويحقق "المرونة" اللازمة للحيلولة دون جمود أو تصلب الدعوة. ولكن هذا الاشتراط (أن يكون مثل الأستاذ الينا) أمر عسير، ويكون من الضروري للداعية أن يحكِم لغة أجنبية، لأن هذا هو الضمان دون النظرة "الأحادية " الضيقة والجهل بالأبعاد الأخرى.

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته

أكتب إليكم والساعة الثانية عشر مساء، وقد حضر إلي منذ الساعة الرابعة فضيلة القاضي، ومكث معي مدة بالمنزل، ثم أجبرني على الخروج معه لزيارة بعض الأهالي وكنت مدعوا إلى حفل زفاف، فذهبت إليه، وألقيت هناك كلمة طريفة في التهنئة والشكر وأغراض الزواج.

يوم ٢٦ أي ليلة ٢٧ اقترح الناظر جمع التلاميذ، وأن ألقي عليهم جميعا بحضور المدرسين بشكل محاضرة قصة المعراج، ففعلت وشرب المدرسون جميعا قرفة احتفالاً بتلك الليلة، وفي صبيحتها دعانا الناظر إلى تناول الحلوى بصالة المدرسة، احتفاء باليوم وكنت طبعا خطيب القوم.

يوم الجمعة الماضي حضر عندنا مدرسو بور سعيد وتلاميذهم، فأكرمناهم وتوالت كلمات الترحيب بهم، فبعد شعر رقيق، ونثر مستظرف، عرضت عليهم (قصيدة تمثيلية [1] في الترحيب، تكلمت فيها عن لسان الناظر والسكرتير

([1]) بقدر ما استطعنا أن نقرأ فالخط باهت جدا..

ومدرسي العربي ومدرسي الإنجليزي ومدرسي الحساب ومدرسي الألعاب وتلامذة المدرسة فكان لذلك وقعا جميلاً.

أروي لكم هذا، لتعلموا أنه كان له في نفس الناظر أثر حميد، فقد أصبح له عقيدة خاصة وأظهرني ا على ميوله الخبيثة، ونصرني على كبريائه بحوله وقوته وله الحول والطول.

الشيخ القاضي يؤيدني جدا في مواقفي الدينية بالبلد، ويعلن في كل مجمع أني إنما أتكلم بلسانه هو أولاً ، وأنه أول من (.....) على كلامي، ومصادفة عرضت أمامه قصة صلاة العيد فسر كثيرا، وأقسم أنه سيكون في الصف الأول في الجبل وتغالى حتى قال إنها من الشعائر التي يحارب تاركُها، وسخف وجهل المعارضين، وأشبعهم لوما وتعنيفًا، وذلك من توفيق ا .

حالتنا جيدة والحمد وأنا مسرور مغتبط.. وتقبلوا تحياتنا جميعا.

ملاحظة:

من أخبار العطَف أن الحاج سيد الخياط توفي يوم السبت الماضي، على أثر شلل في المخ، أصابه في عقب

صلاة الجمعة، وأن الشيخ عبد الرحيم البحيري توفي، وأن كامل العتال نجل الشيخ عبد ا توفي على أثر عملية بالحلق في الإسكندرية وقد جاء هذا كله في بريد واحد.. نسأل ا أن يقينا شر الغفلة، وخطر البغتة ".

هذا الخطاب نموذجي في تصويره لأسلوب الإمام الشهيد في استمالة القلوب واكتساب الأعداء، ويكشف عن مدى دبلوماسيته وحكمته وإيثاره، وذلك كله في الحقيقة تطبيق للآية: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)، ولهذا فقد كان مخلصا عندما نسب فضل ذلك إلى ا تعالى: "ونصرني على كبريائه بحوله وقوته وله الحول والطول". وكان يتأسى بالرسول، وبأدب القرآن، وكان يجد في نفسه ما يتفق مع هذا، لأنه كان مهذبا حييا، بالإضافة إلى الذكاء والفراسة، ولهذا كان مسلكه هذا بعيدا عن مسلك الدهاء السياسي، الذي يكون هو المسلك في غيبة هذه القيم والأدب والتهذيب التي فطر عليها الإمام الشهيد..

وقد تضمنت مذكرات الدعوة والداعية إشارة إلى قضية صلاة العيد في الصحراء، وكيف جوبهت الفكرة بمقاومة قوية عندما عرضت أول مرة.

وهناك خطاب بدون تاريخ، يبدو أنه أرسل هذه الفترة يذكر فيه أن سبب تأخره في إرسال النقود هو: "حيرتي في تقسيمها، وهذه أربعة جنيهات حتى أستدين لكم اثنين آخرين إن شاء ا تعالى.

سافرت يوم الخميس إلى دمنهور بمناسبة المولد الحصافي رجاء مقابلة الأخوان، وأخذت لمنزل أحمد أفندي كيلتين فول سوداني بمبلغ ١٨ قرشًا، فقضيت ليلة الخميس ويوم الجمعة، وعدت مساء الجمعة إلى الإسماعيلية، وقد كلفتني هذه الرحلة ٨٠ قرشًا، عوضها بثلاث أُقَقٍ من السمن.

أما العفش فأفوض أمري إلى ا ، وأني لمحتاج إليه أشد الحاجة، أما الكنبات فضرورية، والطقم لا ينفع بالرغم من عدم تيسره لا الآن ولا في المستقبل، ولا أدري ما أصنع، وتقولون نرسل البساط والسرير، وما رأيت لا هذا ولا ذاك، لا المسموح به ولا المحجوز عليه، وا ولي الصابرين ".

يعقب هذا خطاب بدون تاريخ أيضا، بوصول المتاع وتسلمه وهو "المرتبتين واللحاف والمخدتين وفرش الكنبة كامل، وثلاثة طرود كتب، وشكرا لكم وإن كنتم قد أخرتم البساط ".

ويتلو ذلك حديث عن مقاس الطربوش وطلب ساعة ومنبه.. الخ.

وفي النهاية " هذا وتوافوني بيوم حضوركم، بل بساعة حضوركم حتى أنتظركم على المحطة ".

وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ أرسل الإمام الشهيد على أبيه بعد الديباجة..

"اليوم أرسلت لكم طردا به بالطو محمد، وبالطو فوزية، وصديري جمال..

الأنجال جميعا بخير وعافية، ويهدوكم عاطر تحياتهم، وقد اشتريت لفاطمة (زمزنة) جميلة ولجمال صديري جميل، ولعبد الباسط مثله، جمال يسلم عليكم كثيرا".

وهذا الخطاب يدل على أن الإمام الشهيد استقدم في هذه الفترة ثلاثة من أشقائه.

وثمة خطاب آخر بدون تاريخ، ولكن يبدو أنه في هذه الفترة أيضا وجاء فيه بعد الديباجة:

(ورد خطابكم والحمد على صحتكم واطمئنانكم، أما جمال فهو مسرور كل السرور، وقد أدخلته مدرسة أولية فهو يتعلم بها ويحبه أساتذتها ويكرمونه جدا، أما فاطمة فأنا أوصيها كلما سنحت الفرصة الوصايا التهذيبية، وسأشرع معها في القراءة والكتابة بحول ا وقوته، عبد الباسط كذلك أهتم بتهذيبه جدا، وبالجملة فآمل بعون ا أن أوفق إلى إرشادهم خير إرشاد إلى ما ينفعهم في المعاش والمعاد، ولهم درسان في الأسبوع بعد العشاء يحفظون فيه الحديث وكم يكون سروركم عظيما إذا سمعتم جمال الدين وهو يقرأ الأحاديث التي حفظها بتجويد وإتقان، فمثلاً: "يا معاذ أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ولتبك على خطيئتك"، وحديث: "صِل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك".. الخ.. وكذلك الجميع.

وأنا الآن لا أسهر في الخارج قطعيا، وفقط سأجعل ليلتين في الأسبوع أدرس فيهما بعد العشاء في مسجدين الساعة ٨ ١/٢ على الأكثر ثم أعود إلى المنزل.

ولنا جدول منظم يشمل الرياضة والمذاكرة والسمر والطعام، فاطمئنوا من هذه الوجهة كل الاطمئنان، ومن الغريب أن أهل البلد عرفوا جمال وعبد الباسط، وهم يحبونهما ويكرمونهما ويحترمونهما كل الاحترام متى سارا أو جلسا.

وزارنا بعض الأخوان المدرسين والموظفين، فكان لتلك الزيارات أثر في نفس عبد الباسط، جعله يتعلم كيف يتأدب ويقابل الناس وهكذا.

وقد فصلت لكل منهما جلابيتين من الياباني، وحتمت عليهما النظافة وعدم السير بالحفاء ودوام الصلاة والنظام والغسل ونحو ذلك، فأصبحا يسران الناظرين، وأسال ا التوفيق والإعانة.

والذي أرجوه أن تؤدبوا محمدا وفوزية كما أؤدب أنا عبد الباسط وجمال.

سيدي الوالد..

الآن عرفت أن الأولاد إذا شعروا بالنظام في المنزل نظموا كل أعمالهم، ولذلك أرجو أن تنظموا المنزل نظاما حسنًا، فمثلاً تجعلون الصالة لسفرة الأكل وحجرة للجلوس

والمذاكرة، وحجرة لنومكم وحجرة لنوم محمد وعبد الرحمن، وتضبطوا مواعيد الطعام والنوم بقدر الإمكان ".

هذه الفقرات الخاصة بالدور التهذيبي والتربوي توضح تنبه وعناية الإمام الشهيد بها، وثمة إضافة تعين علي فهمها ففي تلك المرحلة، إذْ كانت الأسرة قد انتقلت من الريف إلى القاهرة، ولم يمض عليها سوى أربع سنوات، ولم تتوصل بعد إلى أن تكيف نفسها مع أسلوب الحياة في المدينة خاصة فيما يتعلق بالأكل واللبس، فلم يكن أسلوب المائدة هو السائد دائما، كما أنها عندما توجد فليس شرطًا أن يوجد عليها الشوك والملاعق والسكاكين، فمعظم العائلات من الأصول الريفية كانت تأكل على (طبلية)، وهي مائدة أرضية لا تستخدم الشوك أو السكاكين ولكن الملاعق فحسب، وتنوب الأيدي فيما تتطلبه العملية، مما لا تقوم به المعلقة، وفيما نرى، فإن الدافع الأول لهذا الأسلوب هو بالطبع البساطة وعدم استطاعة معظم عائلات الطبقة المتوسطة الصغيرة أو الريفية شراء مائدة وكراسي الخ.. وهذه البساطة التي وضعها الإسلام في اعتباره، وأخذ بها حتى لا يشق على الناس (وهي ملحوظة في المسجد أيضا الذي يمكن أن يكون

قطعة أرض فضاء) قد أصبحت عند البعض بتأثير الفهم الساذج للإسلام أسلوبا، حتى عندما تنتفي العوامل المادية. وهذا ما لاحظناه في زياراتنا لكثير من الدول الإسلامية ولا سيما الآسيوية، من استبعاد المائدة والشوكة والسكينة بفكرة أن الأسلوب الإسلامي للأكل، إنما يكون باستخدام الأيدي والجلوس على الأرض الخ..

فإذا وضعنا في تقديرنا، أن ما جاء بخطاب الإمام الشهيد لأبيه إنما حدث منذ ستين عاما وأن في القاهرة الآن حوالي ثمانين ألف عربة "فول"، يقدم الكثير منها وجبات في أطباق ألمونيوم صغيرة، يأكل أصحابها منها دون شوك، وأنه توجد في كل الأحياء الشعبية في القاهرة مطاعم هامشية لعمال الورش أو المحال التجارية، تقدم هذه الأطباق دون شوك بالطبع، لكان مفهوما البطء في التكيف الذي عانته الأسرة.

وفي هذا الجانب من الجوانب المعيشية، كان مجتمع الإسماعيلية أكثر تقدما، من المجتمع الريفي التقليدي، أو حتى البورجوازي الصغير في المدن، لوجود جالية أوروبية كبيرة بها، ولتعرف المصريين على عادات وأساليب الحياة

الأوروبية، ومن ثم؛ فأنا لا أذكر أننا في الإسماعيلية كنا نجلس على طبلية أو نأكل بالأيدي، وعلى كل حال، فإن هذا الحكم لا يصدر على سبيل اليقين، لأن مرور هذا الوقت الطويل ومعاصرة الواقعة لفترة الطفولة، تجعل هذا الحكم على سبيل الظن، لا على سبيل اليقين، وقد يؤكد هذا أن الإمام الشهيد في الإسماعيلية لم يكن يلتزم تماما بالتقشف، الذي ألزم نفسه به في الفترات التالية بتأثير احتكاكه المباشر بالريف المصري كداعية، ففي الإسماعيلية كنا نأكل المربة وليس الفول، ولكن في القاهرة اتخذ الإمام الشهيد من الفول طعاما ملازما وكان يهرسه بالشوكة..

وهذا ما ينطبق أيضا على الزي، ففي الإسماعيلية كان الإمام الشهيد يعني بأناقته، فيلبس البدلة كاملة ويضع المنديل الحرير في الجيب الأعلى للسترة، كما كانوا يفعلون وقتئذ، وأذكر أنه كان يضع دائما بجانب سريره زجاجة صغيرة من الكولونيا اسمها "جينيس فليري" (رائحة الشباب)، ولكنه بعد أن خاض غمار الدعوة في أعماق الريف وشارك الفلاحين شظفهم، تخفف من هذه المظاهر، وأصبح يكتفي ـ في كثير

من الحالات ـ بجلابية بيضاء ويضع فوقها عباءة، ولم تعد تظهر الكولونيا بعد..

* * *

وبعد أن انتهى الإمام الشهيد من خطابه السابق، عاد واستدرك في بقية الصفحة: (أظنكم تتذكرون كلامي مع محب الدين أفندي بشأن موضوع الحجاز وقد ظل الأمر ساكنًا إلى الأسبوع الماضي، حيث أرسل إلي محب الدين أفندي يخبرني بأن الشيخ حافظ وهبة بمصر، والأمر في دور العمل، وسكن الأمر بعد ذلك إلى اليوم، بعد كتابة هذا حيث جاءني خطاب من جمعية الشبان المسلمين بإمضاء محمود فضلي أفندي السكرتير الثاني، يخبرني أن عبد الحميد بك سعيد يرجوني تقديم طلب إلى المعارف، برغبتي في التوظف في المعهد السعودي بمكة، على شريطة حفظ حقي بوزارة المعارف المصرية في العلاوات والمدة والوظيفة الخ.. وسأرد عليه بأن هذا الطلب ليس قانونيا، بل المعقول أن تخاطب حكومة الحجاز وزارة المعارف المصرية بأنها تريدني موظفًا عندها، فتخاطبني وزارة المعارف لأخذ رأيي فأبدي لها بما أريد، وتتم الموافقة بهذا الشكل..

فهل يروقكم ذهابي إلى الحجاز، مع حفظ حقي بمصر بمعنى، أن أكون موظفًا بوزارة المعارف المصرية منتدبا للعمل بالحكومة الحجازية أم ماذا ترون؟

سوف لا أكتب شيئًا من الطلبات الآن، حتى يوافيني ردكم ورد فضلي أفندي، وا يختار لنا الخير حيث كان، اعملوا الاستخارة الشرعية وتقبلوا خالص إجلالي وتحيتي.

حسـ ـن

فليكن في العلم أن وجودي بالحجاز لا فرق بينه وبين مصر في البعد، لأني سأحضر إن شاء ا تعالى أجازة كل عام تقريبا، اكتبوا لي برأيكم أنتم الخاص، ولا تعلموا أحدا من المنزل بهذا الأمر حتى نرى ما يتم به ".

وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨ أرسل الإمام الشهيد خطابا يقول فيه: (.. أما بخصوص مسألة الحجاز فقد ردت وزارة المعارف اليوم على الطلب بالرفض، وعلى ذلك فقد عدلت عنها، وما كنت مشتغلاً بها ذلك الاشتغال الذي فهمتموه، كما لم يقع رفضها في نفسي موقعا غير عادي أبدا

ولم أجد له غضاضة أو أثرا والأمر بيد الله وله الحمد والمنة.

وقد عزمت بحول الله وقدرته على أداء فريضة الحج هذا العام، معتقدا أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وقد يبدو لكم هذا العزم فكرة خيالية، لعدم توفر النقود، ولكن وقتها يأتي الله بالفرج إن شاء الله.

وأما بخصوص أنه ليس معي.. [1] لا يؤثر في نفسي لأني لا أحتاج إلى شيء حتى أجده ميسرا أمامي وماذا.. [2] غير ذلك.

يهمني أن تكونوا مسرورين متمتعين بالصحة والهناء، وتقبلوا عظيم الشوق والإجلال وعطر التحية لكم جميعا. ومن هنا جميعا عبد الباسط وفاطمة بخير يسلمان عليكم ودمتم.

وهناك خطاب بدون تاريخ، يعتذر فيه عن عدم زيارة الأسرة في العيد، ويقول فيه بعد الديباجة:

---

(١) انمحى الخط بتأثير نقطة ماء أو سائل فيما يبدو.

(٢) انمحى الخط بتأثير نقطة ماء أو سائل فيما يبدو.

"فقد كان بودي إجابة مطلبكم بخصوص الحضور في العيد، لولا أن هناك عذرا شديدا يمنع ذلك، أقوله لكم والأمر بعد ذلك كما ترون.

الامتحان عقب الأجازة مباشرة، والأجازة طويلة، اثني عشر يوما، ويعني ذلك أن التلاميذ سيحضرون، وقد نسوا ما درس لهم خصوصا التمرن على الامتحان ـ فلذلك رأيت أنا وبعض المدرسين البقاء، وتكليف التلاميذ الحضور كل يوم وقتًا قصيرا نمرنهم فيه على الامتحان لتحسين النتيجة، ولا سيما السنة الأولى التي أدرس بها.

تلك هي الموانع أدلي بها إليكم والأمر لكم، وتذكروا قرب الأجازة وأفهموا سيدتي الوالدة هذه الأسباب حتى يطمئن بالها والسلام عليكم ".

بهذه الروح كان المدرسون يمارسون مهمتهم المقدمة ويضحون في سبيلها بأجازاتهم.

وثمة خطاب طويل، مؤثر، بدون تاريخ، توحي وقائعه أنه كتب أواخر سنة ٢٨، أو أوائل سنة ٢٩، وضمنه الإمام الشهيد مفردات إنفاقه لمدة ثلاثة شهور وذيله بعبارة " يحفظ هذا الخطاب كأثر" .. وقد وجدناه في ظرف مستقل كتب

عليه الوالد بخطه: "به خطاب أثري للمرحوم أوصي بحفظه" وكلمة (المرحوم) تدل على أن الشيخ وضعه في هذا الظرف الخاص، وكتب عليه عبارته تلك، بعد الاستشهاد، أي أن الشيخ رحمه ا كان يقلب في تلك الليالي الطويلة التي كان يقضيها ساهرا وحيدا، خطابات ابنه وعندما وجد تأشيرته في ذيل الخطاب أفرده بأن وضعه في ظرف خاص وكتب عليه جملته تلك.

في هذا الخطاب يقول الإمام الشهيد.

بسم ا الرحمن الرحيم

" الحمد والصلاة والسلام على رسول ا "

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته، وبعد

فقد وصلني خطابكم الأول وما منعني من الرد عليه إلا كثرة الأعمال فقط، ثم جاءني اليوم الخطاب الثاني فكان لابد من الرد عليه أيا كان، فإليكم البيان بما أنتم تودون أن يرتاح ضميركم من جهتي كأني قلق لضميركم وألم لراحتكم والأمر ، على كل حال الذي يهمني راحتكم مهما كلفني ذلك، سأفصل لكم في هذا الخطاب حساب ثلاثة أشهر مضت هي

نوفمبر وسبتمبر وأكتوبر، أي منذ فارقتكم، لتعلموا أن ليس في تصرفي شيئًا من الإسراف، ولا الخفاء ولا الاستبداد برأيي، وإنما أنا مسوق بقوة الظروف التي لا تُغلب، وإذا كانت ظروفي هكذا فما ذنبي أنا.

شهر سبتمبر ـ جئت الإسماعيلية يوم ٨ منه فصرفت في باقيه ثلاثة جنيهات تماما، مع أني وحدي ولست أغشكم أو أكذب في هذا، إذ لا داعي لأحدهما ـ أما كيف صرفته فهي في غير تبذير ولا إسراف، بل كنت في ذلك كصلاح أفندي وإبراهيم ومن كنت معهما. كان معي من هذا المبلغ كله ثمانين قرشًا منها أجرة القطار، ومن أين الباقي؟ سلفة طبعا؛ من إبراهيم البنهاوي ١٥٠ قرشًا، ومن الشيخ علي ١٠٥ ، ومن شربيني أفندي ٤٥ ، هذا عدا سفر الأولاد الذي حاسبت عليه إبراهيم، وعدا أجرة المنزل عن يوليه وأغسطس وسبتمبر، ومن أين يدفع هذا؟... طبعا يدفع من مرتب سبتمبر.

شهر أكتوبر وتوزيع مرتب سبتمبر ـ أو بعبارة أدق إلا قليلاً:

٢٠٠	لإبراهيم أفندي من أصل الحساب الذي بلغ خمسة جنيهات
٤٥	لشربيني أفندي

٥٥	للشيخ حسن من ١٠٥ بقيت له بعد آخر دفعه
٢٠	الفراشين
٧٠٠	حوالة أرسلت إليكم
١	للشرنوبي من ثمن الكتب
٥٠	للحلاق والمكوجي ٢٥، ٢٥
٢٥	كليمين
١٠٠	أجرة المنزل عن نصف سبتمبر الأخير وبعض تكاليف
٥٧	للشيخ علي من أصل حسابه البالغ ١٠٧
١٥	الشركة (استجرار)
١٠	مكارم الأخلاق عن شهرين
٥٠	لمسجد العرايشية
٣٠	لمبة ١٠
٣٠	مفرش السرير
٧٠	شيك لمحجوب أجرة الكتب المجلدة عنده
٢٠٠	مصروفات جمال الدين
٥٠	شرابات ومناديل وبعض لوازم نقدا
٩٠	من تكاليف الكنبات الثلاثة
٥٠	للترزي
١٥	أجرة بوستة لإرسال نقود وخطابات
٣٠	لسفر دمنهور فقط
٣٠	لسفركم
١٩٢٣	

هذا عدا أشياء دفعت في أغراض كهذه ولوازم لم أتذكرها الآن، وأغفلت كتابتها ـ وعدا مصروف الشهر من مأكل ومشرب ونور..

الخ، بل هي النقود التي دفعت أول الشهر بمجرد تسلم المرتب، وزد

٣٥٠ عليها ثلاثة جنيهات ونصف على الأقل للأكل.

٢٢٧٣ والشرب فالنتيجة ثلاثة وعشرون جنيها ننزل منها مرتب الشهر وهو ١٥ جنيها فالباقي ثمانية جنيهات فمن أين هذه؟ إليكم البيان، وأرجو ألا يزعجكم ذلك فإن كان يؤلمكم أني سافرت دمنهور فوا ما خسرت فيها إلا ثلاثين قرشًا فقط كانت في جيبي، وأخذت بها التذكرة من الإسماعيلية ودفع عامل التذاكر تعريفة بقى من ١/٢ ٣٠ ثمن التذكرة وعدت على حساب غيري، وإن كان يؤلمكم الخمسين قرشًا التي دفعت في المسجد فقدروا الظرف الذي تورطت فيه لدفعها، وقدروا أجرها، وإن كان يؤلمكم ثمن الكتب فهذه أموال نافعة باقية، على أنه موسم وانتهى، ولكن من أين أتيت بالباقي؟ أتيت به من الشيخ حامد الذي اقترضت منه سبعة جنيهات، واقترضت من مال الجمعية جنيها آخر وهي تمام المنصرف.

وإلى هنا ننتهي من حساب مصروف شهر أكتوبر وإليكم بيان مصروف شهر نوفمبر:

٣ حوالة لمصر لكم

١ الترزي وبذلك ينتهي حسابه

١٥٠ المدني ويبقى له جنيه غير ثمن المعجم إن كان اشتراه كما أخبرني

٢ أجرة المنزل

١ الشيخ حسين بقية الحساب القديم ٥٠ وأشياء جدت في أكتوبر ٥٠

١٥ الشركة

٥٠ جمعية الشبان عن ثلاثة أشهر والمكارم

٢٠	فراشين
٢٠	الحلاق
١٠	جميعتنا بالإسماعيلية
١	الناموسية
١	إبراهيم أفندي البنهاوي من حسابه ويكون الباقي له بعد ذلك جنيه فقط.
١١٦٥	

والباقي من المرتب وهو ثلاثة جنيهات و ٣٥ قرشًا أعطيتها لفاطمة على سبيل المصروف.

ولكن الشيخ حامد طلب جزءا من نقوده، بل نقوده كلها فماذا أصنع له أخذت جنيه الناموسية وجنيه واحد من المصروف وجنيه من إبراهيم أفندي البنهاوي وجنيه من عاكف أفندي وتسلم أربعة جنيهات من سبعة وتبقى له ثلاثة.

وبذلك بقى لنا مصروف ٢,٣٥ فقط. وهذا لا يكفي فلابد من الاعتماد على أن يكون الخبز لآخر الشهر، ولوازم البقالة من الشركة لآخر الشهر وهذا ما كان.

ذلك يا سيدي حساب ثلاثة أشهر. تُقدم إليكم أدق من الشعرة، فإن كان لا يروقكم فما ذنبي أنا، فلتسألوا ا أن يحور هذه الظروف، وتتميما للأمر والبيان سأوافيكم بملخص ما علي من الديون الآن. لتكونوا على بصيرة من كل الأمر.

جنيه
٣ للشيخ حامد
١ لعاكف أفندي
١ للناموسية
١ للمدني
٢ لإبراهيم أفندي
١ للشرنوبي
لعبد الحكيم أفندي
عدا ديون فاطمة ووالدتي ودينكم.

إذا كنتم بعد هذا لا تزالون مصرين على اقتراحكم، وتريدون ألا تفكروا في تصرفاتي هذه، المعقدة المتشابكة وتريحوا أنفسكم من عنائها، فأنا أتقبله بكل سرور، على أن يعدل تعديلاً يسيرا إذا وافقكم. وأما إذا أبيتم هذا التعديل فلا أعارضكم. ولكني أرى من الرحمة والعدل أن يكون ذلك هو أن تتركوا جمال الدين وعبد الباسط بمصروفهما المدرسي والملبسي والمأكل وكل لوازمها وفاطمة كذلك. ثم تأخذ والدتي نصف جنيه مصروف وفاطمة نصف جنيه مصروف وأنتم جنيه مساعدة على جنيه عبد الرحمن، وأرسل لكم

الجنيهين شهريا مع الدين القديم ٢٢٠ قرشًا، غير دين الناموسية الذي أدفعه كذلك فتتسلموا الجنيه الذي يخصكم وتأخذ والدتي الجنيه الذي يخصها هي وفاطمة. إذا قبلتم هذا كنت شاكرا ممتنًا مع أني أطمئنكم من الآن على تصرفاتي وماليتي التي ستكون على خير ما تحبون.

أما عبد الرحمن أفندي فلا بأس حقًا وهل قلت لكم مرة أن به باسا؟ وا أسأل له التوفيق في كل خطوة من خطوات حياته، وأن يجعل الخير راشده واليمن قائده.

أما حالتنا المنزلية فنحن سعداء مسرورون هانئون وادعون، ليس وراء ما نحن فيه شيء من السعادة، يشعر جميعنا بذلك، وقد صنعت للكتب دولابا جميلاً جدا تكلف جنيها لا يزال دينًا، فضعوه مع الديون، وصنعنا كذلك ترابيزة مطبخ تكلفت ثلاثين قرشًا دين أيضا، فضموها إلى الدولاب حتى تكون الإحصائية وافية، وفاطمة مسرورة جدا وعندها أم قرني كالخادم الأمين، وكذلك زوجة الأسطى عبد النبي ووالدته، وكل نساء العرايشية الطيبات والحاجة تزورها وهي في أمن ودِعة.

وأما غضب والدتي فحكمتكم كفيلة بإزالته وترضيتها، وإذا كانت غضبت وهي لم تعلم بكل هذه التفاصيل فكيف إذا علمتها وسمعت اسم عاكف وحامد والجمعية مساهمين في لجنة القروض؟ أظنها تفعل ما لا يعقل وتُحكم الرأي على الغضب الشديد، فابذلوا الجهد في تسكين ثورتها وإرضاء خاطرها وإقناعها وتفهيمها ما في هذه الخطابات.

والذي ألاحظه الآن أن وجود فاطمة سيخفض من المصروفات كثيرا، وأنه بعد هذا الشهر ستنفرج الأزمة وتنحل العقدة.

وإذا لم يرق في نظركم كل هذا، فا نعم الكفيل يكفل لي إقناعكم وترضيتكم، وقد أصبحت أشعر من نفسي بخلق غريب هو التسليم تبارك وتعالى بحكم ما يريد.

اكتبوا إلي بما تريدون، وسلموا الكتب التي عندكم للمدني لتجليدها، وإذا مر بكم إبراهيم أفندي البنهاوي فأرسلوا معه كتاب "طبقات ربات الخدور" و"رحلة ابن بطوطة".

كنا نفكر في أنكم ترسلون لنا خادما من عندكم فما ترون وتفضلوا بقبول تحية عطرة مخلصة [1] ".

وهناك خطاب بدون تاريخ، يحتمل أن يكون سابقًا لهذا الخطاب، لأن فيه إشارة على توقع حضور الوالد للإسماعيلية الذي حدث في مارس سنة ١٩٢٩.

في هذا الخطاب يقول الإمام الشهيد ـ بعد الديباجة:

(.. وبعد فقط وصل خطابكم، وأما بخصوص حضوركم فأرى أن يكون بمجرد وصول هذا إليكم فإننا في حال عسِر شديد، بخصوص نظام المعيشة نتحير في كل شيء وقد عملت حسابي بخصوص الشيخ، حامد فأحضرت المنزل مفروشًا، والرفيق الصالح وهو مدرس عندنا، وسينزل من أول يوم في منزله ولكنه لا يعلم بذلك حتى الآن فاطمئنوا من هذه الوجهة كل الاطمئنان، وحضوركم يكون بكل سرعة

---

(1) ذيل الإمام الشهيد رحمه ا هذا الخطاب بجمتلين بقلم رصاص باهت شيئًا ما جاء في الأولى "الترغيب والترهيب أرجو أن تشتروا لكم نسخة على حسابي" والثانية "يحفظ هذا الخطاب كأثر".

لشدة الحاجة إلى ذلك، ولو رأيتم أن يكون معكم سليمان (١) لاحتياجنا إليه وتبحثون لكم عن غيره فعلتم، وإلا بحثنا عن ولد أو بنت صغيرة هنا.

وأما بخصوص النقود فما دمتم رأيتم ذلك، فلا بأس وإن كان المدني (٢) أرسل إلي خطابا يبدي فيه أشد العذر لإرسال النقود، وكأنه لم يصله منا إلا خمسين قرشًا، ثم أنكم تقولون

---

(١) سليمان ـ هو خادم الأسرة وقد ظل في خدمتها فترة طويلة وقد كان لدى الأسرة دائما خادم ـ ذكرا أو أنثى، وكان عادة من البلد، وربما من أحد فروع الأسرة. وكانت تعامل كفرد منها. وأذكر أن الوالد ـ رحمه ا أنبني بشدة لأني في إحدى لحظات الغضب ناديت الخادم، وكانت سيدة كبيرة السن باسمها وليس بكنيتها. وكان وجود خادم لدى أسرة كبيرة العدد، محدودة الموارد جزءا من أوضاع وممارسات المجتمع وقتئذٍ على نقيض الأسر الآن عندما لا تجد الأسرة الثرية خادما وتضطر لاستقدامها من الفلبين! والسبب أن العهد الأبوي الذي يعود إلى الأصول الريفية انقرض وظهرت "البورجوازية" المدنية التي تسيء معاملة الخدم ثم جاءت مرحلة التحول الاشتراكي) بقيم تصم الخدمة في البيوت. وكانت الممارسة الأولى تتفق مع أوضاع المجتمع، بينما كانت الممارسة الثانية دليلاً على فشل التحول في تحقيق قيمه.

(٢) المدني تاجر الكتب الذي كانت الأسرة تتعامل معه وكان له دكان صغير جدا في الصنادقية بالأزهر.

إنني لم أجعل لكم نصيبا في المبلغ، مع أني أخبرتكم أني دفعت مصروفات جمال الدين لتأخذوها من عبد الرحمن أفندي، فكان لكم منه النصيب المفروض.

جمال الدين مسرور من المدرسة والمدرسون مسرورون به جدا فاطمئنوا من هذه الناحية وغيرها جدا.

وتمر فترة دون خطابات لحضور الوالد نفسه للإسماعيلية..

وفي ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ (٩ أكتوبر ١٩٣٠ م) أرسل الإمام الشهيد إلى أبيه خطابا يقول فيه بعد الديباجة:

" فقد ورد خطابكم الكريم، وإن اليوم الذي أستطيع فيه إرضاءكم هو أسعد أيامي حقًا، وعقيدتي أنني ما خلقت إلا لأرضيكم، وليس لي من الحق في كل ما يقدره ا لي بعض ما لكم ذلك ما أعتقده وأقوله بإخلاص ويقين.

والذي أريده فقط أن تغتبطوا بذلك، وتعلموه وأن تخفف سيدتي الوالدة من ألمها، لعدم التوفير فإن هذه ضرورة لابد منها ستنفرج عما قليل.

والله إنني لأقضي ساعات طوال في ألم لتألم والدتي، وفي تفكير كيف أرضيها، وكيف أسعدها، وكيف أجعلها هادئة مغتبطة، فهل يوفقني الله إلى هذه الأمنية.

خطر لي أن أزوركم كل شهر مرة، لا لشيء إلا لأراكم وأشرف بتقبيل يديكم ويدي والدتي، وأحظى بدعوة صالحة من دعواتكم لي، وعسى أن يكون هذا مرضيا لوالدتي بعض الرضا.

وسأبدأ بتنفيذ ذلك ربما غدا إن شاء الله (الأربعاء)، فقد أحضر مساءً وأقضي معكم ليلة الخميس والجمعة والسبت بحوله تعالى وقوته، وتفضلوا بقبول فائق احترامي وتحيتي".

وما من خطاب كهذا يصور الإيمان بفضل الوالدين، والعمل للوفاء به. وليس هناك مبالغة إذا قلنا إنه مثال لما يجب أن يكون عليه إحساس الابن نحو والديه وعلاقته بهما.

وفي ١٢ رمضان ١٣٤٩ كتب الإمام الشهيد إلى والده:

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "وبعد" فلعلكم وأفراد الأسرة المحبوبين جميعا ممتعين بكامل الصحة والهناءة، وقد ورد خطابكم الكريم فأما الخيمي فحقًا ما قال، ويبقى له ١٤٠

قرشًا، وسأبعث لكم بالنقود والمطلوب كله بالبريد، أو صحبة عبد النبي أفندي، لأنه ربما يسافر إلى مصر في خلال الأسبوع القادم إن شاء ا تعالى.

سيكون افتتاح المسجد إن شاء ا تعالى في حفل عظيم يوم الخميس القادم، السابع عشر من رمضان، وحبذا لو كان الوقت يسمح بتشريفكم.

محمد [1] مسرور محبب إلى الأخوان، وهم محببون إليه، ولعل عبد الباسط تم في شأنه شيء، فقد علمت أن لجنة المجانية انعقدت يوم الأربعاء الماضي ولا ندري ما تم.

الحال هنا على أكمل ما تحبون هناءة وراحة والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

حســـن

([1]) انتهز الإمام الشهيد رحمه ا وجود الشقيقين محمد وعبد الباسط بالإسماعيلية، وعينهما مدرسين متطوعين بمعهد حراء الذي أسسه الإخوان هناك، ورفض اقتراح الإخوان تخصيص أي شيء لهما، فأقام لهما الإخوان حفلة تكريم.

شددوا على الخيمي في إنجاز الأعلام يوم ١٥ رمضان لضرورتها في حفل ١٧ رمضان وتقبلوا تحيتي.

وفي ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ (مارس ١٩٣١ م) كتب:

سيدي الوالد المحبوب

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته وبعد: فلعلكم جميعا بخير ما أحب لكم هناءة وغبطة.

عندي بشريان أقدمهما لكم مشفوعتين بحمد ا وشكره.

الأولى إننا تسلمنا بقية المبلغ وهو ٣٠٠ جنيه من الشركة.

الثانية أن سعادة مراقب التعليم الابتدائي (علي بك الكيلاني) زار الإسماعيلية، وزار المدرسة وكان له بها حفل تكريم حضره الأعيان والموظفون وكنت خطيب القوم فسر الرجل سرورا جما، تضاعف بزيارته لي في الفصل.. بما رأى من نظام ونشاط.

ثم إنه زار في الليلة التالية المسجد ومدرسة التهذيب، ومعه المأمور والمعاون ووكيل النيابة والناظر والمدرسون، فدهش لما رآه من نظام الجمعية والمسجد والمدرسة، ووقع

دفتر الزيارة، ثم انتقل هو والمدعوون إلى (بوفيه) شاي وتناول الشاي في حفل عظيم، وخطب الأخوان خطبا وقصائد في الترحيب به فزاده كل ذلك غبطة، وقام محييا الجمعية والأخوان.. الخ ".

وقد أشار الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ إلى هذه الواقعة في كتاب "مذكرات الدعوة والداعية" وقد أصبح الأستاذ علي الكيلاني بعد ذلك من الأخوان، وكسبته الدعوة بعد أن كان قد أُرسل للتحقيق في اتهامها، كما كسبت بعد ذلك قُضاة أُريد منهم الحكم عليها..

وفي ٢٣ المحرم ١٣٥٠ هـ ـ ١ يونيو ١٩٣١ م كتب إلى الوالد:

"فقد وصل خطابكم وسررنا لجمال الدين ونهنئه، أما عبد الباسط فنتيجته سارة كذلك فإن الراسب في علم كالناجح، فطمئنوه على نجاحه وراقبوه في هذه الأيام حتى ينتهي الأثر من نفسه.

قابلنا الشيخ العرفي [1] وأوصلناه من الإسماعيلية إلى القنطرة فالسكة الحديدية الفلسطينية.

حالتنا هنا هادئة وسنحضر إن شاء ا يوم الاثنين القادم بقطار الظهر، الذي يقوم من الإسماعيلية الساعة العاشرة ويصل ١٢,٣٠ عندكم ".

وفي ١٠ يوليو سنة ١٩٣٢ أرسل خطابا بالبريد المستعجل يخطر الوالد فيه بأن: " أحد الأخوان المخلصين وهو عثمان الجضي سيصل إلى القاهرة وسينزل عندكم، فأرجو أن تقابلوه على المحطة بنفسكم، أو من ترون أنه يؤدي المهمة، إذا كان عبد الرحمن أفندي يسمح، وعلامة هذا الشخص أنه يحمل وسام الجمعية "... وقد أكد الإمام الشهيد هذه الوصية (لما لهذا الشخص من المآثر والإخلاص في الخدمة) وأرسل مع الأخ عثمان خطابا آخر.

([1]) الشيخ محمد سعيد العرفي عالم دير الزور، جاء القاهرة بعد أن نفاه الفرنسيون من بلده فتعرف على الشيخ الوالد ـ رحمه ا ـ وآزره في "المسند"، حتى سمحت الظروف بعودته إلى بلده عن طريق الإسماعيلية فالقنطرة فسوريا.

وقد كان الأخ عثمان الجضي من الرعيل الأول في الإسماعيلية وممن اشتهروا بالإقدام والجرأة.

والخطاب يصور تقدير الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ لإخوانه وللعاملين في الدعوة، وكيف أنه يطلب من والده أن يقابل أحد هؤلاء الأعضاء ويوصيه مشددا بإكرامه.

وفي ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٢ كتب الإمام الشهيد إلى والده من المحمودية خطابا طويلاً جاء فيه:

" بسم ا الرحمن الرحيم "

الحمد وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المحمودية في ٣٠/ ٧/ ١٩٣٢

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته " وبعد " فأكتب الآن إليكم بعد فترة طويلة من الكتابة، اكتفيت فيها بأقلام الأخوين محمد وعبد الباسط السيالة.

أنا الآن بالمحمودية، وقد حضرت إليها من ثلاثة أيام، وفي عزمي زيارة شبراخيت إن شاء ا ، ثم العودة إلى

الإسماعيلية، وقد أوصيت الشيخ محمدا بالتصرف في المرتب حسب المقرر.

(١) المحمودية على ما تعلمون من حالها، وقد زرت الأصدقاء بها وكلهم بخير والحمد ، وكانت لي خطبة الجمعة بالمسجد الصغير بالنيابة عن الشيخ زهران أمس، وقد شُكِى إلى الشيخ محمود دويده بسبب صعوبة تحصيل الإيجار من جهة، وبسبب إشراف الدكاكين على الانهيار من جهة أخرى، وقد كاد المهندس يقرر الإزالة والهدم، وقد رأيتها بنفسي، ورأيي أن الهدم صار واجبا، ويعمل بهذا الخشب سور حول الأرض إذا صلح لذلك فماذا ترون في هذا.

(٢) الإسماعيلية تركتها بخير، وقد تم بيني وبين المخالفين الملاعين صلح تهدئة فقط، يجعلنا نتحاجز ولا نتصل، وقد رأيت أن ذلك خيرا للطرفين، مع الاحتراس اللازم، ومن طيه إعلان بملخص هذا الصلح.

(٣) أنا مهتم بموضوع النقل كثيرا، ولا تزيدني حركات الإسماعيلية إلا رغبة فيه، وقد كتبت لكثيرين ووعدوني المساعدة، وقد رأيت الليلة فقط أني نقلت إلى مدرسة الجيزة الابتدائية، فهل هذا حق أم أضغاث أحلام ذلك ما ستفسره الأيام.

(٤) لم أكتب إليكم بشيء ما بخصوص "حسن أحمد مرسي"، ويحسن هنا أن أذكر لكم على سبيل العلم شيئًا عنه، فلعلكم في شوق إليه، بعد حضوري علمت أن السبب في تأخرهم نقاش ومنافسة بينهم وبين الحاج حسن البيك في موضوعات تجارية، وهم في كل الأدوار منتصرون، فصرفهم هذا التنافس عن تتميم الأمر، ولكن الرجل وابنه أبوا قبول المبلغ المودع بتاتًا، فصارحهم بأني لا يمكنني الموافقة على هذا الأمر، إذا نُقلت فكان جوابهم ليكن هذا المبلغ مودعا بأسمهم. إلى الآن والشاب يرجوني دائما ألا أكون سبب في انهيار آماله، وأنا أجعل له النقل حدا فاصلاً والعاقبة بيد ا تعالى. محمد وعبد الباسط مسروران، ولا أدخر وسعا في راحتهما

ولعلهما يكتبان إليكم بذلك، وسلام ا عليكم ورحمته وبركاته.

حسـ ـن

وهناك خطاب من الأقصر يمكن أن يعد ختام هذه المجموعة من خطابات الإسماعيلية، لأن الإمام الشهيد نُقل بعدها إلى قنا.

وفي هذا الخطاب (١٧ رجب ١٣٥٨) سبتمبر ٣٩ يقول بعد الديباجة المعهودة:

ورد كتابكم الكريم، وا أسأل لكم المعونة وجميل المساعدة، ولست أجهل ما يحيط بكم، قواكم ا ، وبخاصة في هذه الأوقات العصيبة.

وفي آخر هذا كلمة لجمال الدين ليعمل بها إن شاء ا .

الرحلة ببركة دعواتك موفقة، وصحتي والحمد جيدة للغاية، وكل ما يحيط بي هنا مريح، وأجد في دعواتكم المباركة خير معين على عمل شاق حقيقة، ولكنه يسير على ما يسره ا عليه، فلا تحرموني صالح هذه الدعوات والسلام

عليكم والتحية للجميع ورحمة ا وبركاته، ولعل فاطمة مستريحة وبخير وصحتها جيدة.

ولدكم حسـ ـ ن

عزيزي جمال الدين

خذ من المرتب ثلاثة جنيهات فوق التقسيم الذي ذكرته لك، وهي استحقاقك هذا إذا لم تكن أرسلت النقود، فإذا كنت قد أرسلتها فخذ هذا المبلغ المتجمع عندك للمطبعة، أو من كمبيالة على خطاب، وسلمه ١٥٠ قرش وصبره حتى أحضر وسلام عليك ".

والكلمة الصغيرة أدنى الخطاب الموجهة لكاتب هذه السطور كانت لمناسبة إشرافي على إدارة مطبعة الأخوان، التي كانت وقتئذٍ تشغل جناحا من دار الأخوان القديمة بالحلمية (١٣ ميدان الحلمية) وكان الإمام الشهيد يدفع لي ثلاثة جنيهات شهرية كانت أشبه بمصروف جيب، لأن وضعي العائلي ظل كما كان. أما كمبيالة على خطاب، فتلك تشير إلى أننا كنا قد اشترينا آلة طباعة صغيرة من أحد تجارها بشارع دسوقي هو علي خطاب، وكانت معظم

المعاملات هذه الفترة تدور بالكمبيالات، وهي إحدى صور التسهيل والإغراء التي تُعد جزءا من بِنْية وروح النظام التجاري وقتئذٍ، وكان علي خطاب رجلاً طيبا متجاوبا، كما قد ينم عن ذلك الإشارة إليه في الخطاب.

المجموعة الثالثة قنا ـ القاهرة

نُقل الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ إلى القاهرة سنة ١٩٣٢، وبالطبع لم تدر مراسلات ما بينه ووالده ما دام هو بالقاهرة، واحتل الأخوان الدور الأرضي بمنزل الأسرة بحارة نافع. وبعد فترة قررت وزارة المعارف (كما كان اسمها) نقل الإمام الشهيد إلى قنا، ولم يشر الإمام البنا في مذكراته إلى هذا النقل أو مبرراته، ولكننا نجد ذكرا لهذه المبررات في كتاب الدكتور محمد حسين هيكل الذي كان وقتئذٍ وزيرا لوزارة المعارف ـ إذ جاء في صفحة ٢٠٨ من كتابه "مذكرات في السياسة المصرية، الجزء الثاني":

"كان الإنجليز يومئذٍ شديدي الحساسية، وبخاصة إزاء ما يبديه بعض ذوي الرأي من المصريين من ميولهم المحورية، وإزاء بعض العناصر ذات النشاط بين سواد الشعب. وكانت جماعة الأخوان المسلمين قد تألفت قبل ذلك بأعوام قليلة، على أنها جماعة دينية تدعو للتخلق بالأخلاق الإسلامية، وللأخذ بقواعد التشريع الإسلامي، في النظام المصري. وكان الشيخ حسن البنا هو الذي دعا لتأليف هذه الجماعة فكان

مرشدها العام. وكان الشيخ حسن معلما للغة العربية، في مدرسة المحمدية الابتدائية الأميرية. وقد أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزارة، حسين سري (باشا)، أن هذا الرجل يعمل في أوساط جماعته لحساب إيطاليا ورغبت إليه في العمل على الحد من نشاطه. ورأى سري (باشا) أن نقل الرجل من القاهرة إلى بلد ناءٍ بالصعيد، يكفل هذا الغرض، فحدثني في الأمر وطلب إلي نقله إلى قنا. ولم أجد بأسا بإجابة طلبه، فنقلُ مدرسٍ في مدرسة ابتدائية ليس أمرا ذا بال، إذ يقع مثله خلال العام الدراسي في كل سنة ولا يترتب عليه أي أثر.

لكن نقل الشيخ حسن البنا أدى إلى ما لم يؤدِ إليه نقل مدرس غيره. فقد جاءني غير واحد من النواب الدستوريين يخاطبني في إعادته إلى القاهرة ويرجوني في ذلك بإلحاح. ولما لم أقبل هذا الرجاء ذهب هؤلاء النواب إلى رئيس الحزب، عبد العزيز فهمي (باشا)، وطلبوا إليه أن يخاطبني في الأمر، وخاطبني الرجل فذكرت له أن حسين سري (باشا) هو الذي طلب إلي نقل الشيخ حسن البنا بحجة أن له نشاطًا سياسيا، وأن النشاط السياسي محرم على رجال التعليم

كما أنه محرم على غيرهم من الموظفين، وأنني لا مانع عندي من إعادة الرجل إلى مدرسة المحمدية، كما كان إذا أبدى سري (باشا) عدم اعتراضه على إعادته. وخاطب عبد العزيز (باشا) سري (باشا) في الأمر، وذكر له إلحاح طائفة من النواب الدستوريين ذوي المكانة. ووعد سري (باشا) بإعادة النظر في الموضوع، ثم أبدى لي أنه لا يرى مانعا من إعادة الرجل إلى القاهرة فأعدته.

ترى أأحسن سري (باشا) في تراجعه هذا أم أساء؟ لعله خشي أن يزداد ضغط النواب جسامة، وبخاصة حين رأى سؤالاً يقدم إلى البرلمان في هذا الشأن، فأراد اتقاء ما قد يجر إليه ذلك من نتائج، لكن الذي لا شبهة فيه أن تراجعه أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة ما يسمح له بمضاعفة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط، وأن هذا الشعور كان له أثره في تطور جماعة الأخوان المسلمين من بعد ".

وكما رغب الإنجليز في الحد من نشاط الشيخ حسن البنا رغبوا كذلك إلى سري (باشا) أن يعمل على الحد من نشاط علي ماهر (باشا).. الخ.. ".

من هذا يتضح أن السلطات البريطانية كانت وراء هذا النقل بنص تعبير هيكل: "وقد أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزارة.. الخ" .. وقد ألف الكُتاب والسياسيون أن يسفهوا ما يقوله الأخوان عن تدخل للسلطات البريطانية، أو على الأقل يستبعدون مثل هذا التدخل. واعتراف هيكل دليل دامغ على خطئهم.

وننفذ الإمام الشهيد النقل دون تردد، لأنه كان طوال حياته الوظيفية مثالاً للموظف الملتزم، ولعله من ناحية أخرى كان يرى أن هذه فرصة لتدعيم التنظيم الأخواني في هذه الناحية القاصية، وهكذا انتقل إلى قنا يوم السبت ٢٢ فبراير سنة ١٩٤١ (من واقع دفتر الشيخ الوالد ـ رحمه ا ـ).

وفي ٢٩ المحرم سنة ١٣٦٠ الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٤١، أي بعد خمسة أيام من سفره كتب إلى الوالد. بعد الديباجة:

" نزلت قنا ولابد أن الأخ عبد الرحمن أفندي أخبركم بما رأى: الحالة طيبة من كل نواحيها ولولا بعد قنا ولولا مشاغلنا بالقاهرة، ولولا ما يحيط بهذا النقل من ملابسات لفضلتُ البقاء في قنا فعلاً. العمل مريح والمدرسة لا بأس بها

والناظر والموظفون مهذبون، والأخوان هنا بخير والحمد على كل حال.

قابلت مراقب المنطقة أمس وتحدث إلي طويلاً، وتكلم معي حول خطتي العامة في قنا، وما ستكون عليه، وقد طمأنته ولا أدري هل هذا مجرد تفاهم، أو أن عنده تعليمات من المعارف بتوصيتي.

على كل حال في عزمي أن أكون هادئًا كل الهدوء هذا الشهر الذي اتفق عليه وا المستعان، ولعلكم جميعا بكل خير.

يحسن أن يكون عنواني الشيخ محمد عبد الظاهر صاحب مكتبة الأخوان المسلمين، ومنه إلي، ولا تحرموني صالح دعواتكم، والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

ولدكم حسـ ـن البنا

كان عبد ا أفندي الصولي قد حضر إلى القاهرة ليأخذ الأولاد إلى الإسماعيلية، وقد كتب إلي بذلك من الإسماعيلية، فأرجو التكرم بمقابلته وإفهامه أن الأوفق إبقاء كل شيء على ما هو عليه، حتى نرى ما يكون وا المستعان.

وبعد بضعة أيام في ٤ صفر سنة ١٣٣٦ ـ ٢ مارس سنة ١٩٤١ أرسل خطابه الثاني:

سيدي الوالد الجليل حفظه ا

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته

ورد خطابكم الكريم، فسررت به، وجزاكم ا أفضل الجزاء ونفعني برضائكم ودعواتكم، وتولانا جميعا برعايته إنه نعم المولى ونعم النصير.

العمل بالمدرسة مريح لا يتعب والحمد ل،له وأنا مستريح في منزلي باللوكاندة، وقد استأجرنا مكانًا للأخوان ولكنه لا يصلح للإقامة، فسأظل حيث أنا حتى يقضي ا أمرا كان مفعولاً ، حضر إلى قنا الشيخ الشعشاعي من رحلة بالصعيد الأعلى، وهو يزاول الوعظ والتدريس بالمساجد وبالدار، وأراحني وجوده من كثير من المقابلات والشئون.

لم أتسلم مرتبي إلى الآن، ولا أدري متى يكون هذا التسلم، ولا ما ستصنع الوزارة بالنسبة للشهر الماضي، وهل ستحتسب الأيام التي تأخرتها خصما أو أجازة ؟ المدرسة هنا في انتظار إفادة الوزارة، ومعي من النقود ما يكفيني فترة، وأستطيع أن أتصرف على كل حال، وقد كتبت لعبد الباسط

أفندي قبل أول الشهر ولعبد الرحمن أفندي أول من أمس بالنسبة لكم، ولا أدري ما موقفهما، وأريد أن أطمئن على ناحيتكم وماذا صنعتم؟ المنزل عندي لا يحتاج إلى شيء الآن فيما أعتقد وقد كتبت للشيخ توفيق أن يدفع الإيجار لصاحبه وأحاسبه فيه، أنا في انتظار إفادتكم عن شئونكم.. الخ.

وفي ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ (١٤ مايو سنة ١٩٤٢) كتب:

بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

قنا ١٦ من ربيع الآخر ١٣٦٠ هـ

سيدي فضيلة الوالد الجليل أعزه ا وأنالني حسن رضاه وعليكم السلام ورحمة ا وبركاته

ورد كتابكم الكريم، وأسال ا تبارك وتعالى أن يتولاكم بجميل المعونة والكلاءة، وصبر جميل وسينتهي كل شيء إلى اليسر إن شاء ا ، وما نحن فيه نعمة كبرى و الفضل والمنة.

سررت كثيرا لشفاء فاطمة ولقد أقلقني أمرها إقلاقًا شديدا، وطمأنني أحمد أفندي تليفونيا مرة، وكتب إلي عبد الحكيم مرة، حتى اطمأننت والحمد على الشفاء.

الحر هنا شديد حقًا بدرجة يقول عنها الناس إنهم لم يشهدوا مثلها في قنا من قبل، ولكني مع هذا مستريح كل الراحة والحمد ، ولا أدري سر هذا إلا أنه تفضل إلهي، فلله الحمد والمنة صحتي جيدة جدا وأنام بالليل والنهار مستريحا، وأؤدي عملي في هدوء، وذلك من فضل ا وألاحظ دهشة الأخوان من مزاولتي للعمل في حرهِم أنفسهم وهم قناويون يكسلون فيه.

الجمعية تسير بخطى موفقة، وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة، دعونا إليه كل الطائفة القبطية، وعلى رأسها المطران، وأقبلوا جميعا لم يتخاف منهم أحد، وكانت صفعة قوية لمنافقي المسلمين الذين يتزلفون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحا جدا في لباقة في بسط فكرة الأخوان بصورة حازت إعجاب الجميع والحمد وكل شيء على ما يرام وسلام عليكم

ولدكم حسـ ـن البنا

والخطاب ـ ككل ـ أو معظم ـ خطابات الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ تنطق بالرضا وحمد ا على توفيقه له، وتمكينه من القيام بمسئولياته القيادية، بصورة أثارت الدهشة. وقد نكون أقل اندهاشًا لأننا عرفنا بعض العوامل التي جعلها ا تعالى أسبابا لتوفيقه. لعل أبرزها إعداده المبكر والمستمر وقد كان الإمام البنا وقتئذٍ في "عز الرجولة" إذ كان سنه ٣٥ سنة وكانت صحته على أفضل ما يكون رجل في هذه السن. لأنه كان معتدلاً في طعامه وشرابه، لا يدخن ولا يخضع لعادة تسيء على الصحة. وكان جادا على العمل، يؤمن أن العمل هو "إكسير" الصحة، وهو "الوصفة" التي يصفها لكل من يشكو. وكانت رياضته هي "المشي" ولم يفكر ـ حتى استشهد في اقتناء سيارة خاصة، وأهم من هذا كله ما كان يحسه من رضوان ا وتأييده له.

واللفتة التي في آخر الخطاب عن دعوته "للطائفة القبطية" وأنه كان "صريحا جدا في لباقة "تمثل المسلك الأمثل: الصراحة مع اللباقة ـ في هذه القضية التي أصبحت حساسة وشائكة. وفيما نرى فإن عدم الأخذ بمثل هذا المسلك كان هو السبب في تفاقم المشكلة، ومع أن هذا التفاقم لم يصل

إلى درجة الأزمة إلا في عهد السادات، فإن بذوره كانت كامنة في "منافقي المسلمين الذين يتزلفون إلى هؤلاء بالفتنة" لأن هذه الزلفى ـ التي هي في حقيقتها نفاقًا ومجاملة ـ أوجدت لدى بعض الأقباط رؤية "سرابية" وغير سليمة للحقيقة، وعزفت على أوتار الأطماع والطموح وما تهوى الأنفس.. والأغرب إن الذين أرادوا العلاج سلكوا مسلك "الزلفى" اتقاء للحساسية وحرصا على العدل، بصورة وصلت بهم إلى الظلم وكانوا كالذين قال عنهم قاسم أمين: "عرفت قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بالعدل!!" فزادت درجة التفاقم حتى وصلت إلى ذروتها أيام السادات لأنها في حقيقة الحال غرست "الازدواجية" وليس الوحدة. وقد عالجنا هذه النقطة ببعض الإسهاب في كتابنا "الإسلام هو الحل" [1].

* * *

هذا هو الخطاب الأخير الذي وجدنا بين أوراق الشيخ من قنا، لأن نقل الشيخ لم يطل، فالجهود التي بذلها بعض الأصداء مع المسئولين ـ على ما جاء في كتاب الأستاذ محمد حسين هيكل ـ أدت إلى عودته. بصورة عاجلة قد

---

(1) الصفحات من ٧٥٧ إلى ٧٧٣.

يصورها أنها لم تمهله لقبض مرتب يونيو، كما جاء في خطاب مدرسة قنا الابتدائية للبنين.

حضرة المحترم الأستاذ حسن أحمد عبد الرحمن البنا أفندي

بعد التحية، نخطر حضرتكم بأن الوزارة قررت نقلكم مدرسة عباس الابتدائية بكتابها رقم ١١٧٥ المؤرخ ٢٦/ ٦/ ١٩٤١ على أن يكون إخلاء طرفكم في ١/ ٧/ ٤١ وتاريخ مباشرتكم العمل بمدرسة عباس ٢/ ٧/ ١٩٤١

فالمدرسة تخطركم بذلك، وترجو إرسال توكيل بمرتب حضرتكم لمن ترونه، عن شهر يونيه لصرفه من المدرسة بقنا.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

ناظر المدرسة

وبعودة الإمام الشهيد إلى القاهرة، لم تعد هناك حاجة لمراسلات، ولكننا عثرنا على بطاقتين من الإمام الشهيد ـ

رحمه ا ـ إلى والده، الأولى بتاريخ ٣/ ٦/ ٤٢ وجاء فيها:

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته

شرفتم الدار، وعزيز علي أن يتأخر هذا الخطاب إلى هذا التاريخ، فقد ظرفته من أول يوم، ثم أردت إرساله مع أحمد، ثم فضلت أن أحضر به، فشُغلت عن ذلك شغلة كثيرة أنستني نفسي، فمعذرة وأنا لهذا شديد الأسف، وأرجو أن تكونوا بكل خير، وسأتحين فرصة قريبة لزيارتكم والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

القاهرة في ٣/ ٦/ ١٩٤٢

ولدكم حسـ ـن البنا

والخطاب يتسم بأدب الإمام الشهيد ـ رحمه ا ـ ويبدو أن الشيخ قد زار "الدار" ـ وهو عمل قلما كان يقوم به، ـ ولعله لم يزر الدار إلا بعد أن أعيدت، في الأيام الأولى لانقلاب ٢٣ يوليو، وعزل الملك، وأم الشيخ الوالد المصلين وقتئذٍ..

والخطاب الأخير في ١٢/ ٨/ ١٩٤٧ وجاء فيه:

سيدي فضيلة الوالد.

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته

جرى ذكر "الفتح الرباني" أمام الأمير عبد الكريم [١] فاشتاق إلى الحصول على نسخة منه، وظهر أن الرجل فاضل له إلمام بعلوم الحديث والفقه والدين، وقد اعتزم زيارتكم، وأكد في معرفة العنوان، ولكن يحسن أن تزوروه أنتم أولاً، باعتباره ضيفًا، ويحسن كذلك إهداؤه نسخة من الفتح باسمكم، وأجلدها على حسابي، فما رأيكم في هذا الاقتراح؟ وماذا تم في نسختي أنا، والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

حسـ ـن البنا

ولا نعلم هل قام الشيخ الوالد ـ رحمه ا ـ بالزيارة المقترحة للأمير عبد الكريم، ومن المحتمل أنه لم يقم بها،

---

[١] الأمير عبد الكريم الخطابي ـ الزعيم المغربي الكبير وبطل ثورة "الريف" وكان وقتئذٍ لاجئًا سياسيا بالقاهرة.

لأن الشيخ لم يترك مكتبه، أو يتصل بشخصيات عامة، إلا بعد استشهاد ابنه، وفي سبيل قضيته، كما يمكن أيضا أن يكون قد زاره، فلم يكن هناك ما يمنع الشيخ من ناحية المبدأ، أو من شخص الأمير عبد الكريم، الذي كان يظفر بتقدير الجميع وتربطه علاقة وثيقة بالأخوان..

* * *

هذا هو الخطاب الأخير، وقد عثرنا بين أوراق الشيخ على صورة لخطاب استقالة الإمام الشهيد من خدمة وزارة المعارف العمومية، ورد الوزارة، ومن الخير إيرادهما هنا ليكونا مسك الختام فجاء في خطاب الاستقالة:

بسم ا الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية.

" وبعد ،، فنظرا لرغبتي في التفرغ لخدمة الدعوة التي عاهدت ا على أن أحيا لها وأموت في سبيلها وهي "دعوة الأخوان المسلمين" أرجو أن تتفضلوا معاليكم فتقبلوا استقالتي من عملي الرسمي بالوزارة، ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٦.

وبما أنه قد مضى علي في خدمة الوزارة تسع عشرة سنة فأرجوا إجازتي بالانقطاع عن العمل ابتداء من أول مايو سنة ١٩٤٦ واعتبار ما بقي من هذا الشهر من أيام الدراسة وهي لا تتجاوز أسبوعين مع الأجازة الصيفية أجازة اعتيادية.

كما أرجو - إذا وافقتم معاليكم - باتخاذ اللازم لصرف مكافأتي عن مدة خدمتي التي بدأت من يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ على تاريخ هذه الاستقالة إذا كانت القوانين واللوائح المالية تجيز ذلك.

وتفضلوا معاليكم بقبول احترامي والسلام عليكم ورحمة ا ...

تحريرا في ٢١ جمادى الثاني سنة ١٣٦٥ هـ

الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٦

لحضرة الأستاذ المحترم ناظر مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة لاتخاذ اللازم..

وهذه الاستقالة في هذا الوقت حرمت الإمام الشهيد من أن ينال معاشًا وأن يقتصر الأمر على "مكافأة نهاية الخدمة".

وردت الوزارة ردا رقيقًا ـ على غير عادتها ـ مع الموظفين في مثل هذه المناسبة، وإن كان هذا هو ما يفترض أن يكون بالنسبة لمثل الأستاذ البنا:

حضرة المحترم حسن أحمد عبد الرحمن أفندي

بناء على طلبكم قررت الوزارة رفع اسمكم من عداد موظفيها ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٦

وإني أنتهز هذه الفرصة، لأعرب لكم عن عظيم الشكر لما قمتم به من الخدمات القيمة، أثناء مدة خدمتكم بالمعارف.

واقبلوا فائق الاحترام.

وكيل المعارف

يبلغ مع جزيل التقدير وأطيب التمنيات جزاء وفاقًا لحسن ماضيه.

ناظر المدرسة

يبلغ لحضرته مع عاطر ثناء المدرسة.

وكيل المدرسة

٢٧/ ٦/ ١٩٤٦.

القسم الثاني

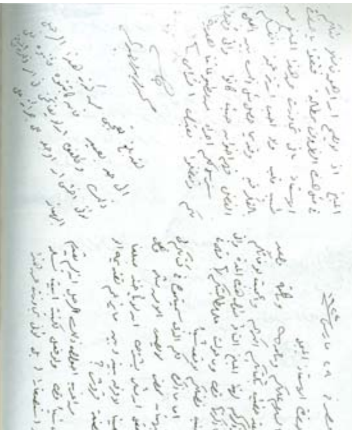
وهو يتضمن: توثيق ما جاء الفصلين السابقين

الفصل الثالث: توثيق ما جاء بالفصل الأول " خاصا بالشيخ الوالد رحمه ا "

الفصل الرابع: توثيق ما جاء بالفصل الثاني " خاصا بالإمام الشهيد رحمه ا "

الفصل الثالث:

توثيق ما جاء بالفصل الأول خاصا بالشيخ الوالد رحمه ا



خطاب من الكاتب الاسلامي الكبير محمد فريد وجدى الى الوالد رحمه الله
[انظر ص ٣٠]



[انظر ص ٣٨]

خطاب مرسل الى جريدة الاخوان المسلمين وقد وجدت عشرات من هذه الظروف بمكتب الشيخ الوالد دون ان يكتب عليها اي عنوان ، ومع هذ كانت تصل الى مكتب الشيخ بحارة الرسلم بالغورية .



كرة اثبات شخصية الوالد – رحمه الله ، استخرجت عام ١٩٢٤ وثبت بها سنة الميلاد ١٨٨١ .
[انظر ص ١٤]



خطابان من قاضى محكمة رشيد للشيخ الوالد لمناسبة تعيينه مأذونا بالمحموديه .
[انظر ص ٢٦]

بخط المؤلف رحمه الله

[illegible]

[أنظر ص ٤١]

[illegible]

خطاب من الوالد رحمه الله إلى الشقيق محمد يبلغه عودته من الاسماعيلية ويصور حفاوة الناس به .

[أنظر ص ١٠٢]

جريدة الإخوان المسلمين

رقم ٧ عطفة الرسام بالغورية

بمصر

احد ظروف جريدة الأخوان عندما كان عنوانها هو عنوان مكتب الشيخ الوالد رحمه الله (٧ عطفة الرسام بالغورية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل العلامة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأهنئكم بالعيد أعاده الله عليكم وعلى من يلوذ بكم أمثال أمثاله بالهناء والمسرات آمين [illegible]

[illegible] محمد نصيف [illegible]

بطاقة من السيد محمد نصيف مرفق بها خطاب الشيخ محمد عبد اللطيف الى الشيخ الوالد .

الى مصر

حضرة جناب الشيخ الفاضل [illegible] احمد ابن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي بحارة الروم بالغورية بمصر ان شاء الله تعالى

عنوان ظرف خطاب الشيخ محمد عبد اللطيف الى الشيخ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

خطاب الشيخ محمد عبد اللطيف

خطابات السيد محمد نصيف

رحمه الله

محمد نصيف (الحجاز)

بسم الله الرحمن الرحيم

Mohamed Nassif
DJEDDAH (Hedjaz)
TELEGRAPHIC ADDRESS:
(NASSIF)

تلغرافيا: « نصيف »

[انظر ص ٥٥]

محمد نصيف (الحجاز)

بسم الله الرحمن الرحيم

Mohamed Nassif
DJEDDAH (Hedjaz)
TELEGRAPHIC ADDRESS
(NASSIF)

تلغرافيا: « نصيف »

[انظر ص ٥٦]

محمد نصيف (الحجاز)

بسم الله الرحمن الرحيم

[انظر ص ٥٧]

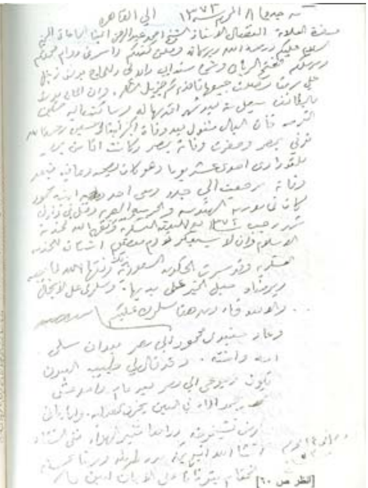
محمد نصيف (الحجاز)

بسم الله الرحمن الرحيم

[انظر ص ٥٨]


- ١٥٩ -
خطابات الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله
بسم الله الرحمن الرحيم
مدرسة دار الحديث
بمكة المكرمة
بخصوص

[انظر ص ٦١]



[انظر ص ٦٠]



[انظر ص ٦٣]



[انظر ص ٦٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

مدرسة دار الحديث
بمكة المكرمة

[انظر ص ٦٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم   ليلة الأربعاء ٦ رمضان

حضرة صاحب الفضيلة الأخ في الله الأستاذ العلامة
الشيخ أحمد البنا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى حضرة الفضل
المحترم حسن افندي وكل محب في الله تعالى

وبعد فإلى الآن لم تصل الكتب من جدة وهذا الذي
كنت أعمل له ألف حساب فإن الحجاج لم يفدوا يفدون
بكثرة وإذا كثروا وقعت أزمة في الجمال فتتعطل البضائع
لذلك وتتعطل في الجمرك إلى أن تجد الجمال لحملها
وقد أرسلت لمحمد افندي نصيف منذ جاءني كتاب
المرسل من السويس أي منذ ١٤ يوما وقد كان يستورد هنا
ثمن بضاعة لتاجر في جدة اسمه أحمد باعشن
فذهب الافندي إلى الجمرك ونقل الصندوق إلى منزله
ولكنه لم يجد الجمال لنقله وقد سبقه إلى ٦ منادين
ليكن حملها . ونسأل الله أن يسلمها من المطر والسيول
حتى تصل ونسلمها لوزارة المالية ونستلم الثمن ثم نرسل
لكم ما بقي لكم إن شاء الله لا يكن عندكم فكر والسلام

[انظر ص ٦٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

مدرسة دار الحديث

[انظر ص ٦٥]

[انظر ص ٦٧]

[انظر ص ٦٨]

صفحة بالحجم الطبيعي من أصول « الفتح الرباني » ولم تطبع هذه الصفحة ولا التي بعدها وهي شرح « العمري » في الجزء ١٥ - لأن الشيخ كان قد اختصر الشرح اقتصاداً في النفقة وحرصاً على الوقت - ولم تطبع في الطبعات الأخرى لأنها صدرت تصويراً للطبعة الأولى .

خطاب الشيخ أبو العيون الى الشيخ الوالد رحمه الله [انظر ص ٦٩]

١٢ شارع وجيه باشا اباظه كليوباترا رمل الاسكندرية
في ١٠ ذو القعدة ١٣٦٦ ــ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٧

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ احمد عبد الرحمن البنا

جلت آثاره وعظمت مناقبه وكثرت مآثره ومفاخره
بعد التحية الطيبة و السلام العاطر حمل الى اليوم الكتاب
عام طبعه من كتابكم الجليل المعنون بالفتح الربانى
بعد الجزء الثالث عشر و تم به سبعة عشر جزءا وفي حرصي
على اقتناء باقي اجزائه و ارجو منكم الحرص على
اتمامه قبل مفارقتكم هذه الدار بعد عمر طويل
ان شاء الله فان عملكم هذا عمل مفيد لم تسبقوا اليه
فيما اعلم ان كان على صحيح وسيجزيكم الله عنه
احسن المثوبة
والسلام عليكم ورحمة الله من محبكم

المخلص
عبد العزيز محمد باشا
وزير الاوقاف

اكتبوا الي بالعنوان المكتوب باعلى هذا الخطاب

خطاب عبد العزيز محمد باشا وزير الاوقاف [انظر ص ٧٠]

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمده سبحانه
وأصلي على رسوله خاتم النبيين

حضرة المحترم والدنا الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا بارك الله لنا في حياته
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . فلم تردوا الى بطاقتنا وقد كررناها
... فرجائي أن تخبروني بما تم في المسند
وهل استمريتم في الطبع أم لا زلتم متوقفين ونسأل الله أن ييسر عليكم الاستمرار
في الطبع وعلى كل حال لا تحرمونا من بركات دعائكم ومراسلاتكم حتى لا ننقطع عن
اخباركم الطيبة ان شاء الله .
وختاماً اكرر سلامي ودعائي أن يمنحكم الله القوة والعافية وطول العمر ... آمين

ابو بكر مغيوب
جزيرة مفيوب باي ...

محرم ١٣٦٧
نوفمبر ١٩٤٧

خطاب ابو بكر مغيوب - [انظر ص ٧١]

خطاب صالح عبد الله سريه [انظر ص ٧٢]



صفحة بالحجم الطبيعي من أصول « كتاب بدائع السنن في مسند الشافعي والسنن » ، بخط الشيخ رحمه الله ، وكان الشيخ يستخدم الحبر الأحمر للعناوين



والأسود لبقية الكلام وهناك مئات الصفحات من هذا النوع . وفي بعضها من السطور والهوامش ما يفوق هذه الصفحة .



اخذت هذه الصورة امام مكتب الشيخ الوالد رحمه الله في ٢١ من شهر صفر ١٣٧٣ (اكتوبر ١٩٥٣) وهو يتوسط الشيخ السيد بلال (رقم ١) والشيخ علي المنصوري (رقم ٣) .


بسم الله الرحمن الرحيم
جريدة الإخوان المسلمين
رقم ٦ عطفة عبد الله بك
شارع سوق السلاح
تحريرا في
سنة ١٩٣

- رأس أحد الخطابات وهو يدل على أنه اتخذ مسكن الأسرة مركزا لجريدة الاخوان المسلمين [انظر ص ٤٥] .



صورة للشيخ الوالد رحمه الله عندما حضر حفل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في نوفمبر ١٩٤٩ الذى ألقى فيه اللواء صالح حرب رثاءً حاراً للامام الشهيد ويرى الوالد وبجانبه اللواء صالح حرب ، والسيد محمد صادق المجددى وزير الافغان المفوض ومنصور فهمى باشا ثم الشيخ صبرى عابدين ممثل السيد امين الحسينى مفتى فلسطين .



صورة نادره للامام الشهيد فى ثلاثينات عمره



دفعة الدبلوم بدار العلوم ١٩٢٧
والأمام الشهيد فى الأعلى ومؤشر عليه بعلامة الاخوان
وكان ترتيبه الأول

الفصل الرابع توثيق ما جاء بالفصل الثاني

أول خطابات «العطف»

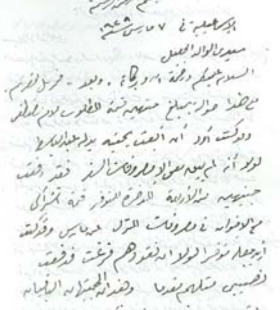

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
سيدي الوالد الجليل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[انظر ص ٩٧]


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
سيدي الوالد الجليل

صفحة من خطاب مطول ذهب الزمن ببعض أطرافه

[انظر ص ١٠٠]


بسم الله الرحمن الرحيم
سيدي الوالد الجليل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد

[انظر ص ١٠٤]


سيدي الوالد الجليل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[انظر ص ١٠٥]



[انظر ص ١١١]





[انظر ص ١١٦]



[انظر ص ١٢٤]



[انظر ص ١١٧]



[انظر ص ١٢٧]





[illegible]

[illegible]

[illegible]

[انظر ص ١٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله
الزنزبار في ١٧ رجب ١٣٠٨ هـ

سيدي الوالد الأجل حفظه الله
عليكم السلام ورحمة الله وبركاته
أرجو أن تكونوا جميعاً بكل خير وسعادة
وردت كتبكم [illegible] والله أسأل [illegible] المعزية وجميل [illegible]
ما يحيط بكم [illegible] في هذه الأوقات العصيبة
[illegible]
[illegible] ودمشق والحرب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكل [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الشـ[illegible] ٢٤ / ٢ / ١٩٤٢

[أنظر ص ١٣٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة
الاخوان المسلمين
بالاسماعيلية
تليفون ٣٣٦

الاسماعيلية في | سنة ١٣٦
| سنة ١٩٤

رقم الخطاب
مرفقات

يوضح هذا الخطاب ان الاخوان كانوا قد وقفوا الى اسم دعوة الاخوان المسلمين، من أيام الإسماعيلية وكان الإمام الشهيد قد بدأ فى كتابة خطاب ثم شغل عنه . [أنظر ص ٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

القاهرة في ١٩٤٧/٨/١٢

سيدي الفاضل الوالد

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد ذكر الشيخ الرفاعي أنه [illegible] فأشكره

إلى [illegible] منه وقد أرسلت [illegible] فأقول إن الإمام

بعلم الحديث والفقه [illegible] وقد القدوم [illegible]

وأنه في مدرسة الشبان وكلهم يحب أن تزوروه أنتم

[illegible] ضيفا [illegible]

[illegible] وأجد [illegible] في هذا

الأفراح [illegible] والسلام عليكم ورحمة

الله وبركاته

حسن البنا

آخر خطابات الامام الشهيد الى أبيه

« رحمهما الله »

[انظر ص١٣٩]

(١١)

الصادق: لا عودة للتفرق الحزبي

ولا إضعاف لتلاحم الشعب وقواته المسلحة

وزارة المعارف العمومية

ادارة المستخدمين

****

١٠١٨

حضرة المحترم حسن احمد عبد الرحمن البنا افندي

بناء على طلبكم قررت الوزارة رفع اسمكم من عداد موظفيها ابتداء من

اكتوبر سنة ١٩٤٦

واني انتهز هذه الفرصة لاعرب لكم عن عظيم الشكر لما قمتم به من

الخدمات الجليلة لتعليم النشء مدة خدمتكم بالمعارف

واقبلوا فائق الاحترام !!!

وكيل المعارف الدائم

[illegible]

يجمع مع جزء التقدير [illegible]

[illegible]